

سلسلة أبحاث فكرية - ٢ -

فِراءاتٌ عكويّة في نهج البلاغة

تأليف
الشيخ مُنير صادق الكاظمي

دار المصادر للطباعة والتوزيع



قراءات علوية من نهج البلاغة

تأليف

الشيخ منير صادق الكاظمي

مكتبة الجوادين العامة الصحن الكاظمي الشريف



أسسها ناصر مكي حلو سنة ١٩٩٦
الوزيرية - بالقرب من معهد الإدارة
هاتف : ٠٧٩٠١٩٧٩٤٥٤

ك ٢٦٨ الكاظمي، منير صادق.

قراءات علوية من نهج البلاغة/ منير صادق الكاظمي.-

بغداد: دار المصادر ، ٢٠٢١

(١٠٩) ص؛ (٥، ١٧، ٢٥ سم)

١- الخطب الدينية- ٢- البلاغة العربية- أ- العنوان

م و

٢٠٢١/٤٥٠٠

nasermkie@yahoo.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٤٥٠٠

لسنة ٢٠٢١



الإهداء

إلى مَنْ أرسى دعائم البلاغة والبيان نهجاً، وأذعن
له أربابُهُما عَجْزاً، ينبوع الحِكمِ وفَصْلِ الخطاب،
أمير المؤمنين عليٍّ (عليه أتمُّ وأزكى الصوات والسلام)
أهدي جهدي المتواضع ذا على استحياء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن ، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد محمد الامجد والرسول المسدد ، وعلى آله وذريته الكرام ، سيما وصيه وابن عمه علي المرتضى عليه عليهم أزكى التحية والسلام .

كانت آثار علي (عليه السلام) ومازالت وستبقى الآثار الباقية عبر الزمان، التي زينت صدر التاريخ، تلك الآثار التي أوحى للقريب وللبعيد من المفكرين والعلماء بأن علياً (عليه السلام)، كان الصورة الأبهى والأرقى في كل مستويات التفكير، وهذا نهج البلاغة، الذي جاءنا عنه وقد عمد به الى أغمض المطالب في دنيا الفكر والعلم والحقائق، فصاغها بقوالب خلافة، تستهوي القلوب، وتستميل الأفتدة، فراحت تطرق مسامع أفراد كل مجتمعات الدنيا، نعم كتاب نهج البلاغة الذي ما بلغ كتاب في البلاغة ما بلغه هذا النهج من الشهرة في الآفاق ولا من كتاب مثله قد مدت له الأعناق من كل اصقاع الدنيا والملل والنحل، وذلك لما فيه من النهج العلوي السديد والاسلوب الرشيد، والأعجب أن انطلاقة في وسط العرب العرباء، أهل الصناعة والبضاعة في هذا الشأن، الذين وطئوا موطننا لم تطأه أقدام غيرهم في كمال البيان وجزالة النظم و وفاء اللفظ ورعاية المقام و سهولة المنطق، لكنما علي (عليه السلام) عندما أدلى بدلوه، كان الأرقى والأعلى من بينهم . نعم أفاض علينا بنهج لم يقف عند

البلاغة فحسب، بل تعدى ذلك في معناه ومغناه ومبناه فصار نهج السعادة بل نهج الحياة لما ضمنه من خطب ورسائل وأقوال وحكم ملؤها الفوائد والفرائد، وفي هذه الأوراق نقف على خطبتين بل ملحمتين لأمير المؤمنين عليه السلام ، تناولناها ببحثين ، وقد خرجت بعنوان : قراءات علوية في نهج البلاغة ، وهي كما يلي :

الاول : القرآن بقراءة نهج البلاغة الخطبة ١٩٨ انموذجا .

ثانياً : بين الخطابين الديني والتعسفي قراءة في خطبة أمير المؤمنين (القاصعة) .

القرآن بقراءة نهج البلاغة

الخطبة ١٩٨ انموذجا

المقدمة

الحمد لله المسبِّح في كل مكان، والمعبود في كل زمان، والموجود في كل أوان، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، سيد الدارين في الدنيا ويوم المعاد، محمد المصطفى وآله الغر النجباء. وبعد

فلاشك ولا ريب لمن وقف على أعتاب كتاب الله وتدبر فيه وتفكر، أن يلازمه العجز والافتقار، وذلك لأنه الكتاب الذي تاهت بكنهه القلوب لما حوى من أجمل لفظ واعجز أسلوب، ببيان أعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو السراج الذي لا يخبو ضياؤه، والشهاب الذي لا يخمد نوره، فهو الذي له على كل كلام سلطان وإمرة، وفي كل شاهد به حكمة وعبرة، فكم انتظمت في آياته وبديع إشاراته وعجيب انتقالاته، قصص باهرة، ومواعظ زاجرة، لذا تجد وهذا أمر واضح أن وشاح العجز والقصور قد غطى العقل البشري على اختلاف مشاربه من أن يحيط بأسرار هذا القرآن وعظمة هذا البيان، إلا من اصطفاهم الله وخصهم بالذكر في كتابه

المجيد، واصفا كتابه مرة ومرة أخرى واصفهم، قوله تعالى:

﴿فِي كِتَابٍ مَكُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة: الآية ٧٨

فأصبح ما بين الكتاب وصنف ممن اصطفاهم الله علاقة التلازم التي ترجمتها السنة المقدسة في حديث الثقلين والذي أفصح به النبي ﷺ قوله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي...^(١) لذا خرج هذا البحث في القرآن والوقوف على بعض أوصافه عن طريق عدل القرآن وأهل الذكر، وإذ نقف على صورة لبيان هذا القرآن وأبهى صورة رسمها إمام الفصاحة وسحبانها وسفير دولتها وترجمانها، أعني علياً أمير المؤمنين عليه السلام، في إحدى خطب (نهج البلاغة)، هذه الخطبة التي تعد من روائع نصوص النهج الشريف الذي جمع الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦هـ به خطب وكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هذه الخطبة التي وردت بعنوان (فضل الإسلام، والقرآن، والحث على التقوى) وكانت الدراسة في

^(١) الترمذي: محمد بن عيسى السلمي، سنن الترمذي (تح: أحمد محمد شاكر وآخرون)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، (د. ط)، ج ٥، ص ٦٦٢، قال الألباني عنه: صحيح.

البحث قد انصبت على جزء الخطبة المتعلق بوصف القرآن،
 بالعنوان أعلاها وقد سجل الباحث قراءته على الخطبة التي
 وصف بها علي عليه السلام كتاب الله بأربعين فقرة وبأعذب بيان،
 حيث يصف فيها الكتاب المجيد وقد نزل على رسول الله
صلى الله عليه وآله بقوله في الخطبة (١٩٨) : ((ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا
 لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَ سِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْرًا لَا يَدْرِكُ
 قَعْرَهُ وَ مِنْهَا جَا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ وَ
 فُرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بَرْهَانُهُ وَ تَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ وَ شِفَاءً لَا
 تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَ عِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقًّا لَا تُخَذَلُ أَعْوَانُهُ
 فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَ بَحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ وَ
 رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ غُدْرَانُهُ وَ أَثَافِي الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ وَ أَوْدِيَّةُ
 الْحَقِّ وَ غِيْطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُتَنَزِّفُونَ وَ عِيُونٌَ لَا يَنْضِبُهَا
 الْمَاتِحُونَ وَ مَنَاهِلٌ لَا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ وَ مَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ
 نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ وَ أَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَ أَكَامٌ لَا
 يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعًا
 لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ وَ مَحَاجَّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ
 وَ نُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلًا وَثِقًا عُرْوَتُهُ وَ مَعْقِلًا مَنِيعًا
 ذُرْوَتُهُ وَ عِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنْ اتَّيَمَّ

بِهِ وَ عُدْرًا لِمَنْ اِنْتَحَلَهُ وَ بُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ شَاهِدًا لِمَنْ
خَاصَمَ بِهِ وَ فُلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَ حَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ وَ مَطِيَّةً
لِمَنْ اَعْمَلَهُ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ جُنَّةً لِمَنْ اسْتَلَّامَ وَ عِلْمًا لِمَنْ
وَعَى وَ حَدِيثًا لِمَنْ رَوَى وَ حُكْمًا لِمَنْ قَضَى)) . فخرجت

الدراسة بعد المقدمة بتمهيد جاء فيه ذكر الكتب المعتمدة
التي تعرضت لشرح هذه الخطبة والتعريف بها، ثم ثلاث
محاوَر، تم التعرض فيها لبعض المفاهيم والاستنتاجات
والتأملات التي تجمعت أثناء القراءة على النص، مع التعرض
لمعاني الألفاظ التي وردت في الخطبة من خلال المعاجم
العربية للوقوف على بعض معانيها، وكذلك مقابلة النصوص
الواردة في الخطبة مع بعض آيات الكتاب والأخبار الشريفة
الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام وبعض النصوص للعلماء
الأعلام، وأنا من الله عزوجل داع وراج وبه متوسل بأن
يوفقني لخروج البحث بما ينفع انه سميع مجيب.

التمهيد

ورد ذكر هذه الخطبة في الكثير من المصادر الحديثية
المعتبرة وكتب الشروح لنهج البلاغة، والجميع وقفوا عليها
متأملين بعظيم الوصف الذي انبرى به أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام، وهو يكشف عن عظمة مباني ومعاني
القرآن العظيم، ومن بين تلك الكتب والمصادر ابتداءً وردت
كما بينا في النهج الشريف الذي جمعه الشريف الرضي
المتوفى ٤٠٦هـ في الخطبة التي تحمل الرقم (١٩٨) بعنوان
فضل الإسلام والقرآن^(١)، وكذلك أوردتها صاحب البحار
الشيخ المجلسي^(٢) المتوفى ١١١١هـ ومن الكتب التي
ذكرتها وتعرضت لشرحها، صاحب كتاب معارج نهج
البلاغة البيهقي^(٣) المتوفى ٥٦٥هـ ومن الكتب التي تعرضت

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني)، ط الأولى، ١٣٩٧هـ — ،
مط عمران، ص ٥١٢: ونسخة أخرى تح: السيد جعفر الحسيني، الناشر دار الثقلين،
قم، ط الأولى ١٤١٩، ص ٣٢٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، الناشر فقه، مط آثار، ١٤٢٧هـ، ج ٩٢، ص ٢١

(٣) علي بن زيد البيهقي، معارج نهج البلاغة (تح: اسعد الطيب)، الناشر مكتب الإعلام
الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٢هـ .

لشرحها كتاب منهاج البراعة للقطب الراوندي^(١) المتوفى ٥٧٣هـ ومن الكتب التي تعرضت لها ولشرحها كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي^(٢) المتوفى ٦٥٥هـ ومن المتأخرين من تعرض لهذه الخطبة بالشرح أيضا مجموعة من العلماء الكبار منهم محمد تقي التستري في كتاب بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة^(٣)، والشيخ محمد جواد مغنية^(٤)، والسيد محمد الحسيني الشيرازي^(٥)، وممن ذكرها أيضا صاحب تصنيف نهج البلاغة^(٦)، وممن ذكرها السيد الخوئي^(٧) وهناك كتب أخرى تعرضت لها نذكرها

(١) سعيد بن هبة الله الراوندي، منهاج البراعة : تح: السيد عبد اللطيف الكوكهمري)، الناشر مكتبة السيد المرعشي، مط الخيام ، ١٤٠٦هـ.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تح : محمد إبراهيم)، الناشر دار الكتاب العربية، بغداد، مط الأمير ١٤٢٨هـ، ط الثانية، ج ١٠، ص ٣٤٤، رقم الخطبة ١٩١.

(٣) محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر ١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج ٩، ص ٢٧٠.

(٤) محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، الناشر دار العلم للملايين، ط الأولى ١٩٧٣م، ج ٣، ص ٢٠١.

(٥) محمد الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، الناشر والطبع دار العلوم، ط الأولى ١٤٢٣هـ ، ج ٣، ص ٢٨٧.

(٦) ابيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، الناشر مركز الإعلام الإسلامي، ط الثالثة - ١٤١٧هـ ، ص ٢١٢.

(٧) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار الزهرا للطباعة والنشر - بيروت لبنان، ط الثامنة ١٤٠١هـ ، ص ٢١.

على سبيل السرعة منها الأصول الأصلية وكتاب أنوار
الأصول وكتاب نور الأفهام وكتب أخرى اعرضنا عن ذكرها
للاختصار.

المحور الأول

القرآن وأدب التحدي

من اليوم الأول الذي نزلت به آيات الكتاب العظيم كمعجزة واضحة ومصدقة لنبوة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله ودليل على عظمة الإسلام، كان الشعار الأول الذي يعتبر كصفة غالبية عليه هو شعار التحدي، والقطع بسلامة النص القرآني وعصمته على مختلف النوحى، ودوام حجته مع تعاقب الأيام واختلاف الأزمان، وهو ضرب من ضروب التفرد والخلود لهذا الكتاب الكريم دوننا عن غيره من الكتب، وهذا ما تتحاشاه وتتهيبه كل الميادين العلمية والمعرفية الأخرى، فقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَاتٍ وَاذْعُوا مِنِّي اسْتَطَقْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود: الآية ١٣، متحدياً بذلك على قوم طالما شهد لهم التاريخ بأنهم أهل صناعة وإذاعة في الكلام وإسراره، فتحداهم بما هو شأنهم الظاهر عليهم قال السيد الطباطبائي^(١): فالتاريخ لا يرتاب من إن العرب العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغاً لم يذكره

(١) محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

بيروت- لبنان، ج ١، ص ٦٨.

التاريخ لواحدة من الأمم المتقدمة عليهم، والمتأخرة عنهم ووطأوا موطناً لم تطأه أقدام غيرهم، في كمال البيان، وجزالة النظم، ووفاء اللفظ، ورعاية المقام وسهولة المنطق، وقد تحدى عليهم القرآن بكل تحد ممكن ما يشير الحمية ويوقد نار الأنفة والعصبية) انتهى، أقول ثم لم يكن بعد هذا من ردِّ سجّل التاريخ أو مشهد لهم من المجابهة لما جاء بهذا القرآن إلا ما ذكره القرآن مصوراً خذلانهم بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يُلُتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ هود: الآية ٥، نعم قد تجد محاولات ضبطتها بعض الانقال التاريخية حاولت وبفشل ذريع صياغة للكلام ووضعها أمام نصوص القرآن ومبانيه ومعانيه، من أمثال خزعبلات مسيلمة وهذيات من غيره، لو اطلع عليها المتتبع لرآها ومن الوهلة الأولى سخافات وخرافات، والله الأمر من قبل ومن بعد، وقد انبرى أمير البيان علي عليه السلام في خطبته بما هو مدللا على هذا في عشرة مواضع، وباستعارات وإشارات لطيفة نأتي على شرحها وبعضها من مفاهيمها فيقول:

- ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصايحه: وفي هذه الاستعارة إشارة لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ

وَاللَّهُ مُتَّبِعُهُ نُورُهُ وَكَوْكَرُهُ الْكَافِرُونَ ﴿التوبة: الآية ٣٢﴾، والعجيب
بالآية الكريمة تصور عجز محاولات هؤلاء للوقوف أمام
هذا النور العظيم وتصويرها بالنفخ من عبارة
(بأفواههم)، ثم إن علياً عليه السلام عندما يصف نزول القرآن
بالنور ذاك لان النور أساس الحياة والحراك، والنمو وال عمران
على الأرض، ومنشأ كل جمال، وهيبة كل جلال، وهكذا هو
القرآن بمعارفه وفنونه وعلومه، كتاب يحرك المجتمع
الإنساني نحو الكمال ويأخذ بيده نحو الطريق السالك إلى
مواطن المعالي.

- وسراجا لا يخبو توقده : والتوقد على وزن تَفَعَّلُ ، نشاط
دائم ونتاج مستمر، لا يعرف الخباء والضمور والانكفاء في
حركته العلمية ومسيرته في العطاء فهو غض جديد إلى
يوم القيامة وقد ورد في الأثر^(١) (ولو أن الآية إذا نزلت
في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن
شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره مادامت
السموات والأرض).

(١) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت- لبنان،
ط الثامنة، ١٤٠١هـ، ص ٢٣.

- وبحراً لا يدرك قعره: سمي البحر بحراً لاستبحاره وهو انبساطه وسعته ونقول استبحر في العلم^(١)، وعلي عليه السلام يشبه القرآن بالبحر بهذه اللفظة والاستعارة كون القرآن في علومه وكنوز معارفه كالبحر في ما يحتوي من العجائب، والأمر الثاني لعل علي عليه السلام يستخدم هذا التشبيه وهذه الاستعارة نظراً لما يمتلك البحر من عظمة في وجدان الإنسان والعنصر العربي بشكل خاص، ولكنه عليه السلام أشار إلى نقطة مهمة وهو إن البحر لا بد له من قاع فإذا استطاعت البشرية إدراك هذا القاع فلا يتيسر لها هذا وهي تخوض في غمار بحر القرآن.

- ومنهاجاً لا يضل نهجه: والمنهاج الطريق الواضح^(٢)، فكم من مناهج وسنن وضعت وطالما سُجِلَ عليها الاخفاق والمعيب أو طالما تعرضت لانحرافات أودت بمن اتبعها إلى طريق الخسران والضياع، وهنا يشير علي عليه السلام إلى جانب مهم ألا وهو عصمة النص القرآني وسلامته من كل

(١) الفراهيدي، معجم العين (تح الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي)، الناشر أسوة، ط الأولى، ١٤١٤هـ، مط باقري، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) محمد تقى التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر ١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج ٩، ص ٢٧١.

عيب، مع تعاقب الأيام واختلاف الأزمان وفي سورة الشعراء ما يشير إلى ذلك المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الشعراء: الآية ٢١٠.

- وشعاعاً لا يظلم ضوءه: قيل أشعت الشمس أي انتشرت كالرماح ويجمع شعع وأشعة (بكسر الشين)، وهنا تشبيه علي عليه السلام لآيات القرآن بلفظة الشعاع أي إن آياته انتشرت كالشعاع علامات فارقة على طريق الهداية والتكامل يتميز للإنسان من خلالها ما ينبغي أخذه وما ينبغي تركه، فعلى كيفية انتشار أشعة الشمس انتشرت آيات الكتاب علامة لكل سائر في طريق هذه الحياة، يأخذون من آياته دلائل على اختلاف مشاربهم، وقد ورد في الأثر الشريف عن الحسين بن علي عليه السلام قوله: كتاب الله ﷻ على أربعة أشياء، على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء^(١).

(١) الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير جوامع الجامع (تح: وطبع مؤسسة النشر الإسلامي)، ط الثانية، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص ٥.

- وفرقانا لا يخدم برهانه: قال الجوهري: فرقانا (كل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان)^(١)، والبرهان بيان الحجة وإيضاحها مشتقة من البرهرة وتعني الجارية البيضاء، والتشبيه من أمير المؤمنين عليه السلام للقرآن بهذه الصفة فيه إشارة، على أنه الكتاب الذي هو بمبانيه ومعانيه ومغانيه أبيض ناصع الحجة للقاصي قبل الداني بكل ما يحمل، يفرق بين الحق والباطل، ولعل في استخدام هذا اللفظ (فرقانا) فيه إشارة إلى معنى آخر من معاني عظمة القرآن يختص بنزوله متفرقا لأجمله واحدة، حسب ما يقتضيه السبب متدرجا مع مدة نبوة الخاتم الأعظم صلى الله عليه وآله، وفي هذا خاض المفسرون وبينوا العلة في تدريجه والمنحى التربوي في ذلك يقول صاحب الأمثل^(٢): إنه من غير المتوقع أن تنصلح أمور مجتمع في مرحلة البناء خلال ليلة واحدة، لأن البناء الحضاري والفكري والثقافي

(١) محمد تقي التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر ١٣٩٠هـ ، مط الحيدري، ج٩، ص ٢٧١.

(٢) ناصر مكارم شيرازي، تفسير الأمثل، الناشر مدرسة الإمام علي عليه السلام - ١٤٢٦هـ، مط سليمان زادة، ج٧، ص ٤٣٢.

والاقتصادي والسياسي يحتاج إلى المزيد من الوقت،
انتهى.

لذا فإن إظهاره وإظهار معارفه وجوهر علومه إلى
الناس تدريجياً وحسب المقتضى، أمر يساعد في تقبل الناس
لأفكاره، وإن إصلاح مجتمع مليء بالفساد لا يكون بيوم
واحد، وأمر آخر استدعى هذا التفرق في النزول، هو الحفاظ
على الارتباط الدائمي للوحي مع الرسول ﷺ، وفي
موضوع التدرج في النزول من البركات ما يشير إليه في قوله
تعالى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان: الآية ٣٢)، فأنت تستنبط
أيضاً من هذا اللفظ أنه لم يكن القرآن بمجموعه كتاباً معرفياً
فحسب، بل له طرح وطريقة تربوية في توصيل المعلومة
للأجيال لم يسبقه غيره بها.

- وتبيننا لا تهدم أركانه: واستخدام لفظ التبيان^(١) هنا مع
الأركان يقول السيد الخوئي رحمته الله: المحتمل في المراد من
هذه الجملة أحد وجهين الأول، إن أركان القرآن في

(١) وردت (بنيانا) هكذا في منهاج البراعة للقطب الراوندي، وقال صاحب بهج الصباغة
الشيخ محمد تقي التستري والصواب و(بنيانا).

معارفه وتعاليمه وجميع ما فيه من الحقائق المحكمة التي
لا تقبل التضعضع والانهدام ^(١).

أقول وعلى مثل هذا التقييم للقرآن كم من شاهد في
التاريخ يثبت ذلك، فقد ورد ^(٢) ((إنه اجتمع ابن أبي العوجاء
و أبو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري، و ابن المقفع
عند بيت الله الحرام يستهزؤون بالحاج، و يطعنون على
القرآن فقال ابن أبي العوجاء لهم: تعالوا ينقض كل واحد منّا
ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه،
وقد نقضنا القرآن كله، و إن في نقض القرآن إبطال نبوة
محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه،
فاتفقوا على ذلك وافترقوا على ذلك، فلما كان من قابل
اجتمعوا ثمة، فقال لهم ابن أبي العوجاء: أما أنا فمتفكر منذ
افترقنا في هذه الآية: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (يوسف: الآية ٨٠)،
فما أقدر أن أضم إليها في فصاحتها، و جمع معانيها،
فشغلتنني هذه الآية عن التفكير في ما سواها فقال عبد الملك:

(١) الخوئي، أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء، بيروت، ط الثانية،
١٩٨١م، ص ٢٢.

(٢) محمد تقى التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر
١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج ٩، ص ٢٧٤-٢٧٥.

أنا متفكر في هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج: الآية ٧٣)، فلم أقدر على الإتيان بمثليها .

فقال أبو شاكر و أنا منذ فارقتكم متفكر في هذه الآية: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء الآية: ٢٢)، فلم أقدر على الإتيان بمثليها فقال ابن المقفع: يا قوم إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي ﴾ (هود: الآية ٤٤)، فلم أبلغ غاية معرفتها ولم أقدر على الإتيان بمثليها فيناهم في ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقال: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا ...)).

والوجه الثاني يقول السيد الخوئي عليه السلام: إن القرآن بألفاظه لا يتسرب إليه الخلل والنقصان فيكون فيها إيماء إلى حفظ القرآن من التحريف^(١)، وهنا وتعقيباً على كلمة السيد

(١) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط الثامنة ١٤٠١ هـ، ص ٢٣، وقد كتب سماحة الإمام عليه السلام فصلاً فيما يخص سلامة القرآن من التحريف في كتابه البيان في تفسير القرآن من أروع الفصول، فراجع.

قد ورد في تفسير القرطبي^(١) وبسند متصل إلى يحيى بن
أكثم يقول: ((كان للمأمون - وهو أمير إذ ذاك - مجلس نظر
فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن
الوجه طيب الرائحة قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة قال:
فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال
نعم قال له: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعدته فقال: ديني
ودين آبائي! وانصرف قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً
قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فلما تقوض المجلس
دعاه المأمون وقال: ألسنت صاحبنا بالأمس؟ قال له: بلى قال:
فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك
فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط
فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت
وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني وعمدت إلى الإنجيل
فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة
فاشتريت مني وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ
وزدت ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن

(١) أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث
العربي، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ، ج ١٠، ص ٦.

وجدوا فيها الزيادة والنقصان، رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامي، قال يحيى بن أكثم: فحججت تلك السنة فلقيت سفیان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله (ﷺ) قال قلت: في أي موضع؟ قال: في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ المائدة: ٤٤ فجعل حفظه إليهم فضاع وقال (ﷺ): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فحفظه الله (ﷺ) علينا فلم يضع)). .

- وشفاء لا تخشى أسقامه: وفي هذا الموضع والوصف لكتاب الله إشارة لقوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَمَرْحَمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء: الآية ٨٢، وقوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة: الآية ١٤، وقوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ يونس الآية ٥٧، والإشارة إلى هذا الشفاء في كتاب الله المجيد الذي يصفه علي عليه السلام بالشفاء الذي لا يستعقبه سقم ومرض يمكن أن يوجه، بأن الفضائل النفسانية التي يأمر بها القرآن إذا صارت ملكات بعد ان يؤمن بها الإنسان قولاً وعملاً فتظهر في سلوكياته، سوف لن تزول

ولن تتبدل، عندها لا سبيل لتلك الأمراض النفسية والردائل الأخلاقية أن تصل إلى قلب الإنسان، لذا تجد القراءة الأعظم والأكبر تفهما لمقاصد هذا الكتاب هو كونه كتابا انزل ليعتني بتربية الإنسان كونه الخليفة لله في الأرض، هذا في ما يخص العوائد المعنوية للكتاب وأما ما يخص الفوائد المادية فقد تظافت الآيات والروايات التي تدل على آثار مادية ظاهرة للكتاب منها رواية إسحاق بن عمار يقول قلت للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((جعلت فداك، إني أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف قال: فقال لي لا بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل أما علمت أن النظر في المصحف عبادة))^(١)، ثم إن قراءة القرآن في البيوت فيها من العوائد والفوائد على هذا البيت ما ندر حصوله من طريق آخر فقد ورد في ذلك قول الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:^(٢) ((إن البيت

(١) الكليني، أصول الكافي (باب فضل القرآن)، الناشر دار الكتب الإسلامي، ط السادسة ١٣٧٥هـ، مط حيدري، ج ٢، ص ٦١٣.

(٢) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط الثامنة ١٤٠١هـ، ص ٢٧.

الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب))، ثم إن القرآن يصرح في هذا الشأن ما ينفع في توافر الصحة والعافية للبدن في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف: الآية ٣١.

– وعزا لا تهزم أنصاره: وحقا لا تخذل أعوانه: وفيه إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ ﴾ الإسراء: الآية ١٠٥، والله عز اسمه عندما يقرن إنزال القرآن بالحق، نظرا لما توفر في نصوصه من أحقية أثبتت جدارة النص فيه بما يحمل من المعرفة وثبات ما يقوله، وها هي قريش بكل ما تملك وقد توفرت دواعيها على إبطال أمره، واستفرغت مقدورها على تنفيذ حقائق آياته، ولكن دون جدوى فلما ظهر العجز منهم بمقارعة الكلام بالكلام وهم أهل الصناعة في البلاغة دون غيرهم، لجأوا إلى الحروب الشاقة وبذل النفوس والأموال للوقوف دون انتشاره، ولكن هيهات حيث لم ينفع لا هذا ولا ذاك في أن يسجل لهم ولو مشهدا واحدا في إبطال حجة له، وقد تحداهم

بقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فصلت:
الآية ٤٢، ثم العجب كل العجب من سياقه الكلامي ونظمه
القرآني، فكم توسل المحتجون عليه بأساليب كلامية
أخرى أرادوا بها وضع نصوص أمام نصوصه، فبان الفرق
مباشرة ووضح البون، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل
على تفرد القرآن بنظمه وسياق كلامه تفردا خاصا تعالى
أن ترتقي إليه قابلية الإنسان لتأتي بمثله لا لشيء إلا كونه
صادر من محضر الحق جل وعلا فتعالى الله سبحانه عما
يصفون ، وعن محاولات البعض للدس في الكتاب يقول
السيد الطباطبائي^(١): ((أن روايات التحريف تذكر آيات و
سورا لا يشبه نظمها النظم القرآني بوجه فهو ظاهر لمن
راجعها فإنه يعثر فيها بشيء كثير من ذلك كسورتي
الخلع والحفد اللتين رويتا بعدة من طرق أهل السنة
فسورة الخلع هي: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا
نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع
ونترك من يفجرك" وسورة الحفد هي: "بسم الله الرحمن

(١) محمد حسين الطباطبائي، تفسير الميزان، مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان، ط الثانية

١٣٩١هـ، ج ١٢، ص ١١٥.

الرحيم اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى
ونحفد، نرجو رحمتك و نخشى نقيمتك إن عذابك
بالكافرين ملحق)). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم.

المحور الثاني

أسباب العظمة وديمومة الحياة في النص القرآني

بهذا خرج محور البحث، حيث يوضح الإمام عليه السلام بصورة من أروع صور البيان، وأشار إلى ذاتية الكتاب وكنهه، وما يتركزه في جوهره، من المباني والمغاني والمعاني التي لا تقف عند حد ومن لطائف، ومعارف، وحقائق، ودقائق، أوجزها في أحد عشرة فقرة من الجمل الوصفية، نتعرض إلى الوقوف عليها والبحث في معانيها فيقول عليه السلام:

- فهو معدن الإيمان وبحبوحته: وقوله معدن الإيمان أي أصله وجوهره، والحبوحة وسط الشيء، ولأن درجة الإيمان إنما يتحصل بعد مرحلة متقدمة من الشهود والمعجز^(١) بدلالة قوله تعالى مخاطبا نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَوْ كَمْ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَكُنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ البقرة: الآية ٢٦٠، فإذا كانت عملية القتل للطير من قبل إبراهيم وبأمر من الله ثم إحيائها دافع لإيمانه المطمئن لوعده الله بإحياء الموتى،

(١) محمد تقى التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر

١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج ٩، ص ٢٧١.

فأن ما في القرآن من آيات وحقائق تكفي لمن ترسخ بها أن يطل على الملكوت من نافذة القرآن، وبذلك دلالة على إن معجزة الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المعنوية وسياق الكلام في النص القرآني لها من التأثير ما فاقت حتى المعجز المادي المحسوس، ولها من الجاذبية التي تحدث من القرارة والطمأنينة النفسية لمستמעه مثلما أحدثته معجزة النبي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام الحسية، وهكذا القرآن قابل بعظمته كل معاجز الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام على اختلافها وحسب مقتضياتها.

- وينابيع العلم وبحوره: وفي هذا إشارة لقوله تعالى وهو يصور خزائنه التي لا تنضب ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ الإسراء: اية ٨٩، وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الاسراء الاية ٣٨، وفي هذا، قال الكراجكي^(١): ((ومن إعجاز القرآن ما تضمنه من أخبار الدهور الماضية وأحوال القرون الخالية وأنباء الأمم الغابرة ووصف الديار الدائرة وقصص الأنبياء المتقدمين وشرح أهل الكتابين مما لا يقدر عليه إلا من اختص بهم وانقطع إلى الاطلاع في كتبهم وسافر في لقاء علمائهم وصحب رؤسائهم،

(١) محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ج ٩، ص ٢٧٢.

ولما كان نبينا ﷺ معلوم المولد والدار والمنشأ والقرار، لا تخفى أحواله ولا تستتر أفعاله، لم يلق قط قبل بعثته مدارساً لكتاب ولا رأي مخالطاً لأهل الكتاب ولا سافر لإتباع عالم سراً ولا جهراً علم انه لم يأخذ ذلك إلا من رب العالمين وثبت إعجاز القرآن)). ولم نجد لأحد من أهل مكة إن نسب إليها غير عبارة المكّي إلا رسول الله ﷺ عندما نسب إلى مكة المعظمة فنسبته كانت قول القرآن: (وهذا الرسول الأمي) نسبة لأم القرى (مكة) وبما إن لفظ الأم تعني الأصل فلعله والله العالم كونه النبي الذي معارفه أمهات الأصول وأصول في أصول وكل معارفه من القرآن وعلي يقول في القرآن: ينابيع العلم وبحوره وفي موضع آخر يقول ﷺ^(١): إن الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن فانه جبل الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦ (تح السيد جعفر الحسيني)، الناشر دار الثقّلين - قم، ط الأولى ١٤١٩هـ، ص ٢٦٢.

- ورياض العدل وغدرانه: قال الراغب^(١): الرياض ومفردها روضة وتجمع رياض، والروض مستنقع الماء والخضرة، ورياض الجنة تعني محاسنها وملاذها، وقال أيضاً ((روضات الجنات إشارة إلى ما أهلهم له من العلوم والأخلاق التي من تخصص بها طاب قلبه)). وهذه المعاني كلها إشارة إلى إن القرآن هو روضة تحوي عدلا يطيب قلوب الناس بالفرح والبهجة والسرور.

- وأثافي الإسلام وبنائه: الأثافي كأثافي، جمع أثفية بالضم والكسر وهي الحجارة التي توضع عليها القدر^(٢). وفي هذا التشبيه وهذه الاستعارة اللطيفة والإشارة الظريفة، يعني إن استقامة الإسلام ودوام حجه وانتصاره في ميادين التحدي كل ذلك بالقرآن كما إن استقرار القدر وثباته على وضعه الصحيح لا يكون إلا بثبات أعمدة القاعدة الساكن عليها، لذا ورد في الكافي الشريف للكليني روايات تدل على الآثار الكبيرة من معالم العز والعظمة والشرف كل الشرف التي تركها قراءة القرآن

(١) الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، (باب روضة).

(٢) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط الثامنة ١٤٠١هـ، هامش ص ٢٤.

من قبل المسلم على نفسه وأهل بيته ، يقول النبي ﷺ ((القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار))^(١). وقول علي عليه السلام: ((وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّافِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لَا يَعْوجُّ فَيْقَامَ، وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتَبَ، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ))^(٢). ثم إن الرسول ﷺ وهو يصف عظمة القرآن وانه العلاج في الأزمات والمحن التي تمر بها الأمة، يقول علي عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول ((ستكون فتن قلت، وما المخرج؟ قال كتاب الله، كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل...))^(٣)، والتي هي من أروع ما وصف به كتاب الله، يقول السيد الخوئي

(١) الكافي: ٤٣٩/٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦.

(٣) محمد بن مسعود ابن عياش السمرقندي، تفسير العياشي (تصحیح العلامة السيد هاشم

المحلاتي)، الناشر مؤسسة الاعلمي، ط الأولى ١٤١١هـ، ج ١، ص ١٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ معلقا على هذه الكلمة للنبي ﷺ ((ولو استضاءت الأمة بأنوار معارف القرآن لأمنت العذاب الواصب ولما ترددت في العمى ولا غشيتهم حنادس الظلال ولا غال سهم من فرائض الله ولا زالت قدم على الصراط))^(١).

- وأودية الحق وغيطانه: الغائط وتعني المطمئن من الأرض وجمعه غيطان واغواط^(٢)، والوادي جمع أودية ويستعار الوادي للطريقة كالمذهب والأسلوب، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء: الآية ٢٢٥. يعني أساليب الكلام في المدح والهجاء والجدل والغزل^(٣)، من هنا يتضح استخدام هذه الاستعارة من قبل الإمام عليؑ في تصوير القرآن كونه المذهب والأسلوب والطريق للحق الذي يطمئن له.

- وبحر لا ينزفه المتزفون. وعيون لا ينضبها الماتحون: قال الراغب^(٤): نَزَفَ الْمَاءَ نَزْحَهُ كُلَّهُ مِنَ الْبُئْرِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ،

(١) السيد الخوئي، البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط الثامنة ١٤٠١هـ، ص ٢٠.

(٢) الفراهيدي، معجم العين (تح الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي)، الناشر أسوة، ط الأولى، ١٤١٤هـ، مط باقري، ج ٢، ص ١٣٦٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، (تح: صفوان عدنان داوودي)، الناشر دار القلم دمشق الدار الشامية، بيروت، ص ٨٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٩٨.

ونزف الرجل في الخصومة أي انقطعت حجته، وطبقا لما ورد من هذه المعاني لهذه الألفاظ، لعله عليه السلام أراد إن يشير إلى حياة النص القرآني الدائمة فلا سبيل أن ينفذ محتواه ولا أن يتوقف نبضه فمحال للموت أن يصل إليه وكذلك القطع بحجية النص، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تُنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف: الآية ١٠٩، والرواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال ((أن رجلا سأل الإمام الصادق عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة))^(١)، ثم إن الماتح هذه اللفظة أي المستقي من البئر^(٢)، إذا طبق المعنى هذا أريد منه إن عيون المعرفة لدى القرآن كلما استورد منها الواردون لا تنتهي - وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الرَّزِقُ تَأْتِيهِ مِنَ تَفَادٍ﴾ (ص: الآية ٥٤)، وفي الخبر إن الأسقف المسيحي يسأل عمر بن الخطاب قال له

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، مط اعتماد، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، ج ٨، ص ٧٠.

(٢) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين (تح السيد احمد الحسيني)، المكتبة المرتضوية، مط حيدري، ١٣٧٥هـ، ج ٢، ص ٤١١.

((يا عمر أسألك عن شيء في أيدي أهل الدنيا شبيهة
بثمار الجنة فقال عمر: سل الفتى ويعني علي بن أبي
طالب عليه السلام فقال عليه السلام: هو القرآن يجتمع أهل الدنيا عليه
فيأخذون منه حاجتهم ولا ينقص منه شيء وكذلك ثم
أهل الجنة فقال الأسقف صدقت يا فتى))^(١).

- ومناهل لا يغيضها الواردون: مناهل مفردها منهل وهي
المورد وهو عين الماء ترده الإبل وتسمى المنازل التي
في المفاوز على طريق السفر مناهل لان فيها ماء^(٢)، لذا
لو شرب منه الوارد لم يعطش، وهكذا هو القرآن عندما
عبر عنه علي عليه السلام مفيدا به إن من وردوا مناهل القرآن
مهما كثروا فلا ينضب ولا يغيض ولا يجف.

- ومنازل لا يضل نهجها المسافرون: وهنا إشارة لقوله
تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: الآية ٩، وقوله
تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾
الكهف: الآية ١، وعبارة أقوم على وزن افعل للتفضيل
مشتقة من قيام، قال صاحب الأمثل: ((وهو إن القرآن

(١) محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر
١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج ٩، ص ٢٧٦.

(٢) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين (تح السيد احمد الحسيني)، المكتبة المرتضوية،
مط حيدري، ١٣٧٥هـ، ج ٥، ص ٤٨٨.

الكريم يمثل اقصر وأفضل طرق الاستقامة والثبات والهداية^(١)، وقد قال رسول الله ﷺ: من ابتغى الهدى في غيره أضله الله، قال الشيخ ميثم البحراني^(٢): عندما يمر بهذا اللفظ من قوله ﷺ: ومنازل لا يضل نهجها المسافرون: أي مقامات من العلوم إذا نزلتها العقول المسافرة إلى الله لا تضل لاستنارتها وشدة إضاءتها.

- وأعلام لا يعنى عنها السائرون: وفي هذا الموضع تجده ﷺ يشير إلى وضوح حجية القرآن وظهوره للأذهان مثله مثل العلامة الشاخصة في طريق السائر فأياته النجم الذي يلوح بالأفق والنجد المرتفع في الطرق.

- وآكام لا يجوز عنها القاصدون: الأكمة تل من قف جمعها الأكم بضم الألف والآكام وهو من حجر واحد^(٣)، قال الشيخ ميثم البحراني: ((استعار لفظ الأعلام والآكام للأدلة والإمارات فيه على طريق على معرفته وأحكامه

(١) ناصر مكارم شيرازي، تفسير الأمتل، الناشر مدرسة الإمام علي (عليه السلام)، ١٤٢٦هـ، مط سليمان زادة، ج٧، ص٢٣٧.

(٢) ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة (عني بتصحيحه مجموعة من الأفاضل)، الناشر دفتر نشر الكتاب، ط الثالثة، ١٣٧٩هـ، ج٣، ص٤٥٩.

(٣) الفراهيدي، معجم العين (تح: الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي)، الناشر أسوة، ط الأولى، ١٤١٤هـ، مط باقري، ج١، ص٩٣.

باعتبار كونها هادية إليها كما تهدي الأعلام والجبال على
الطرق))^(١). وإذا جمعنا هذه المعاني مع القاصد يتضح لنا
كيف أن القاصد للمعارف وللحقائق والعلوم وهو يمضي
في الطريق والبحث عنها إذا لاحت له آيات القرآن اكتفى
بها عن كل حقيقة، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:
((كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به وينطق
بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في
الله ولا يخالف بصاحبه عن الله))^(٢). نعم هو أرقى كلام
جامع بين عذوبة اللفظ وجزالة الأسلوب وبلاغة المعنى،
لا يوجد بين أجزاءه اختلاف بل نهاية الائتلاف، يقول
الطباطبائي ((وهذا من عجب أمر القرآن، فإن الآية من
آياته لا تكاد تصمت عن الدلالة ولا تعقم عن الإنتاج
كلما ضمت آية إلى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبحار
الحقائق، ثم الآية الثالثة تصدقها وتشهد بها))^(٣).

(١) البحراني، ابن ميثم، شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ٤٥٩.

(٢) نهج البلاغة (شرح محمد عبده) الناشر نصايح، ٢٠٠٤، ج ١، ص ٢٨٢، الخطبة
١٣١.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-
لبنان، ج ١، ص ٧٣.

المحور الثالث

العوائد والفوائد والموائد في كتاب الله

وقد أشار علي عليه السلام به إلى العوائد والفوائد والموائد في مضامين القرآن ومحتويات آياته من الثمرات والبركات فيما لو التف هذا الخلق حول القرآن المجيد، فهو الكتاب الذي انزله الله على رسوله لتكميل العباد وعمارة البلاد، وقد لخص هذا كله بجميل الإشارة ولطيف العبارة بإحدى وعشرين فقرة فيقول:

- جعله الله ريا لعطش العلماء: ريا بالفتح والكسر صحيح^(١)، والرواء من الماء الذي يكون للوارد فيه ري قال جرير بئر رواء عذبة الشروب^(٢)، وهنا يصور الإمام عليه السلام كتاب الله وعلومه، ماء يسد ضمناً العطشان من العلماء، ونحن نعلم جيداً متى يكون لبحوث العلماء وكتاباتهم أن تنتهي بما يرضيهم من النتائج، فالحديث الشريف: منهومان لا يشبعان

(١) محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر ١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج٩، ص٢٧٧.

(٢) الفراهيدي، معجم العين (تح الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي) الناشر أسوة، ط الأولى، ١٤١٤هـ، مط باقري، ج١، ص٧٣٠.

طالب علم وطالب مال^(١). ولكن القرآن للعلماء هو الغاية
ولمقاصدهم نهاية، والله عز اسمه يقول: ﴿ثِيَابًا لِلْكَافِرِينَ﴾
النحل: الآية ٨٩

- وربيعاً لقلوب الفقهاء: والربيع المنزل والوطن سمي ربعا
لأنهم يربعون فيه، أي يطمثون ويقال للربيع هو الموضع
الذي يرتعون فيه في الربيع^(٢)، وقيل^(٣): ((إن الربيع المراد
به ذاك الفصل الموجد للأزهار والأنوار والمدرك
للأقوات والغلات)). وهنا يتبين لماذا استخدم هذا اللفظ
وهذه الاستعارة لعل التشبيه للقرآن ربيعاً للفقهاء كون
أجوائهم العلمية ميدان استنباط ورتق وفتق للأحكام
ومباني ومداليل وهذا الحال يتطلب أرضاً منتجة وخصبة،
ألا وأن في القرآن ما هو كذلك فكم في غمار آياته
يرتعون وينعمون ويرفلون ويفرحون، قال الشيخ

(١) الشيخ علي النمازي، مستدرک سفينة البحار (تح: الشيخ حسن نجل المؤلف) الناشر
والطبع مؤسسة النشر الإسلامي، ط الثانية ١٤٢٧هـ، ج ١٠، ص ٢١٧.

(٢) الفراهيدي، معجم العين (تح الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي) الناشر
أسوة، ط الأولى، ١٤١٤هـ، مط باقري، ج ١، ص ٦٤٧.

(٣) محمد تقی التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الناشر مكتبة الصدر
١٣٩٠هـ، مط الحيدري، ج ٩، ص ٢٧٧.

البحراني^(١) ولفظ الربيع هنا مستعار للقرآن باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء يستثمرون منه الأحكام وبهجة لها.

- ومحاج لطرق الصلحاء: محاج جمع حجة، وهي جادة الطريق^(٢). وكون القرآن حجة دامغة لمن احتج به على خصمه، وهو إشارة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: الآية ٣٣، ولكن هذا الانتصار من القرآن لا يتحقق لمن هب ودب في ميادين الجدل إلا لمن توسم الله به الصلاح وطابت سيرته وسريرته، والله عز اسمه يقول: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا مَرِبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: الآية ٢، ولكن في موضع آخر يقول الله تعالى مصورا سطوة القرآن وخذلانه لمن لا يتسم بالصلاح قوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: الآية ٨٢ ولعل هذا الوصف لعوائد القرآن محصورة على الصالحين إشارة إلى عظمة الصلاح وأهميته في سلوكيات الشعوب، ففي قوله تعالى: ﴿إِن تَصُرُوا اللَّهَ يَتَّصِرْكُمْ وَتُبْتِ أقدامكم﴾ محمد الآية ٧،

(١) البحراني، ميثم، شرح نهج البلاغة (عني بتصحيحه مجموعة من الأفاضل) الناشر دفتر نشر الكتاب، ط الثالثة، ١٣٧٩هـ، ج ٣، ص ٤٦١.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تح: محمد إبراهيم) الناشر دار الكتاب العربية، بغداد، مط الأمير ١٤٢٨هـ، ط الثانية، ج ١٠، ص ٣٤٤.

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ التغابن: الآية ١٧، يقول علي عليه السلام: فلم يستنصركم من ذل، ولم يستقرضكم من قل ... وإنما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملا، فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره^(١).

- ودواء ليس بعده داء: وفي هذا إشارة مهمة للقرآن حيث يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: الآية ١٥٨، وإنما فرض الله رسالة الخاتم دستورا للناس على اختلاف مشاربهم وتعاقب أيامهم لعظمة القرآن الرسالة الخالدة التي جاء بها، فكم كتبت الدساتير وصيغت القوانين واجتهد أصحابها لحل مشاكل الشعوب ولكن هيهات، فها هي اليوم والأمس وغدا تعج بالمشاكل، فلو تأملوا بهذا القرآن لوجدوا في طياته الحلول الناجحة لمشاكلهم والناجعة لآلامهم . وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله ((القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده))^(٢).

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة) الناشر نصايح - ٢٠٠٤م، ص ٣٧٣.

(٢) الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، الناشر دار المعرفة، ط الثامنة - ١٤٢٦هـ، ج ١، ص ٨٤.

- ونوراً ليس معه ظلمة: وفي هذا إشارة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النساء: الآية ١٧٤، ولكن العجيب إن الإمام عليه السلام يصف هذا النور لا ظلمة معه فهل خطر على ذهن البشر إن هناك نوراً ليس له حد، إلا هذا القرآن وهذا الكتاب فنوره باق إلى يوم القيامة، والسبب في ذلك كون الجاعل له رب العالمين: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور: الآية ٤٠، والأعجب أن هذا النور يمتلك من التأثير ما يرسمه القرآن بقوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى فَآخِيتَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ الأنعام: الآية ١٢٢، ثم أي النظريات جاءت في دنيا الشعوب تلك التي لم تعان إخفاقاً أو معيباً إلا هذا القرآن وآياته.

- وحبلاً وثيقاً عروته: نعم هو الغالب بمعارفه وعقائده وهو المنجى لمن تمسك به لما فيه من عناصر القوة التي لا تقف أمامها قوة، على شتى طرق المواجهة التي تنتظر الناس، فالله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ الأنبياء: الآية ٤٥، وفي هذا دلالة على قوة في الكتاب تؤمن لتابعيه

الحصانة، والله يقول لرسوله: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾
الزخرف: الآية ٤٣.

– ومعقلا منيعا ذروته: والمعقل الملجأ^(١) وكون القرآن ملجأ
لمن لجأ إليه وحصنا منيعا، قد اكتسب العظمة من منزله،
يقول علي لولده الحسن المجتبي عليه السلام والجأ نفسك في
الأمر كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حريز
ومانع عزيز^(٢).

– وعزا لمن تولاه: نعم وعزة القرآن لتظهر على متبعه
والعامل به شاخصة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: إن أهل
القرآن في أعلا درجة من الآدميين ما خلا النبيين
 والمرسلين، ولا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم فإن لهم
من الله لمكانا^(٣)، وعن النبي صلى الله عليه وآله قوله^(٤) مشيرا إلى

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تح: محمد إبراهيم) الناشر دار الكتاب العربي—
بغداد، مط الأمير ١٤٢٨هـ، ط الثانية، ج ١٠، ص ٣٤٤.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني) ط الأولى-١٣٩٧هـ، مط
عمران، ص ٦١٦-٦١٧.

(٣) الكليني، الكافي (تعليق علي أكبر الغفاري) الناشر دار الكتب الإسلامية، ج ١،
ص ٦٠٣ (باب فضل القرآن).

(٤) الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، الناشر دار المعرفة، ط الثامنة —
١٤٢٦هـ، ج ١، ص ٨٥.

حقوق أهل القرآن: من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله، وقد ورد في هذا أيضا^(١) عن علي عليه السلام: (ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثه وأتباعه)، وفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ((أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل))^(٢)، وعن الحسن بن علي عليه السلام قوله: ((من قرأ القرآن كانت له دعوة مستجابة، إما معجلة وإما مؤجلة))^(٣) وعن النبي صلى الله عليه وآله قوله ((من ختم القرآن كأنما أدرجت النبوة بين جنبيه، إلا أنه لا يوحى إليه))^(٤).

- وسلما لمن دخله، قال ابن أبي الحديد - سلما أي مأمنا، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: يدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا ويدفع عن قارئ القرآن بلاء الآخرة، وعنه

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦ (تح السيد جعفر الحسيني) الناشر دار الثققلين - قم، ط الأولى ١٤١٩هـ، ص ٢٦٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، الناشر فقه، مط آثار - ١٤٢٧، ج ٩٢، ص ١٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ٢٠٤.

(٤) الكليني، الكافي (تعليق علي الكبر الغفاري) الناشر دار الكتب الإسلامية، ج ٢، ص ٦٠٤ (باب فضل القرآن).

(ﷺ) أيضاً مخاطباً أبا ذر : لا يعذب الله قلبا اسكنه القرآن^(١).

- وعذراً لمن انتحله: وفي هذه الفقرة أشار على ﷺ إلى نكتة لطيفة وهي إن الله (ﷻ) قد فوض للإنسان في كتابه المجيد حرية التفكير وترك له انتخاب الرأي السقيم من المستقيم بالعقائد، قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾ النحل: الآية ٧٨، وترك للإنسان حرية الاختيار في المذهب والعقيدة، فالله يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة الآية ٢٥٦، وعلى اختياره سوف تترتب مظاهر سلوكه، لذا إن القرآن يصرح عن طبيعة المناداة يوم القيامة وتزكية الأعمال مرهونة بالاختيار قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ﴾ الإسراء: الآية ٧١، ولكن مع هذه الحرية من الاختيار تجد القرآن ناصحاً في كيفية الاختيار لامن باب الجبر ولكن من باب التنبيه فيقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: الآية ١٩، وعلي ﷺ في كلامه هذا يوضح حجم العوائد الايجابية عند اختيار

(١) الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، دار المعرفة، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ، ج ١،

القرآن مبدأ للإنسان ومصدرا في معارفه، كونه حجة
دائمة وعذر قاطع لمن اتخذه إماما فعن رسول الله ﷺ:
ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوله الذي ينتهي إليه،
آواه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم^(١).

- وبرهاننا لمن تكلم به: نعم فكم من الحجج التي سخرتها
قريش وجبارتها قد ذابت واندحرت أمام حجية القرآن:
﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ الإسراء: الآية
٤٨، فكان الله ناصر نبيه بالقرآن وهكذا كان القرآن
وسيبقى بلا منازع بحقائقه التي ما فتئت يعبر عنها القرآن
دوامغ تخمد نيران الأحقاد كلما أوقدت ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ الأنبياء: الآية ١٨، فكم في مطاوي
التاريخ من الشواهد والمحااجة التي سجلت انتصارا لمن
اتخذ القرآن دليلا على كلامه، عن أبي الجارود قال:
((قال أبو جعفر (عليه السلام)^(٢): يا أبا الجارود ما يقولون في

(١) المجلسي، بحار الأنوار، الناشر فقه، مط آثار، ١٤٢٧، ج ٩٢، ص ٣١.

(٢) (أبو جعفر) يعني محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالباقر
عليه وعلى آبائه الكرام من الصلوات أفضلها ومن التحيات أكرمها، خامس الأئمة
من أهل بيت النبوة سبط النبي الأكرم ﷺ من ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

الحسن والحسين (عليهما السلام) ، قلت: ينكرون عليهما أنهما ابنا رسول الله، قال: فبأي شيء احتججتم عليهم؟ قال: قلت بقول الله في عيسى: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ * وترَكِرْنَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فجعل عيسى من ذرية إبراهيم، واحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَسَاءَ مَا وَسَّاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ ، ثم قال: فأى شيء قالوا: قال: قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب، قال: فقال أبو جعفر: والله يا أبا الجارود لأعطينكم من كتاب الله آية تسميها أنها لصلب رسول الله (ﷺ) لا يردها إلا كافر. قال: قلت: جعلت فداك وأين؟ قال: قال: حيث قال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَمَرْبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُومِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ فسلمهم يا أبا الجارود وهل

يحل لرسول الله نكاح حليتيهما؟ فإن قالوا: نعم. فكذبوا
والله، وإن قالوا: لا. فهما والله ابنا رسول الله لصلبه، وما
حرمن عليه إلا للصلب ((^(١)).

- وشاهدا لمن خصم به: فكم حفل التاريخ بالمجادلات
تلو المجادلات وكم استنفر أعداء الدين قواهم ليسجلوا
ولو خطأ واحدا فلم يجد، وقد دونت كتب في ذلك
صورت تلك الحلبات والجدليات وهي جميعا قد حفلت
بانتصار من اتخذ القرآن برهاناً، وفي أخبار المحاجات
وكتب المناظرات من الشواهد والمشاهد ما يدل على
من توسل بالقرآن بالحق فكان القرآن ناصراً وخير معين
له، فقد ورد في الأخبار أن قد اجتمعت قريش إلى الوليد
بن المغيرة^(٢)، و قالوا له: ((يا أبا عبد شمس ما قرآن
محمد أشعر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعوني أسمع
كلامه، فدنا منه فقال: يا محمد أنشدني من شعرك، قال:

(١) الطبرسي احمد بن علي، الاحتجاج (تح: ابراهيم بهادري - محمد هادي به)، النشر

والطبع أسوة، ج٢، ١٧٥

(٢) ناصر مكارم شيرازي، تفسير الأمثل، الناشر مدرسة الإمام علي عليه السلام، ١٤٢٦هـ،
مط سليمان زادة، ج١٢، ص١٤٤: كان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً وكان من
حكام العرب، يتحاكمون إليه في الأمور وينشدونه الأشعار، فما اختاره من الشعر
كان مختاراً. هكذا في المصدر نفسه.

ما هو شعر و لكن كلام الله الذي ارتضاه ملائكته وأنبيأوه
 ورسله ، فقال: أمل علي شيئاً منه فقرأ النبي (ﷺ) «حم
 السجدة» حم تنزيل من الرحمن الرحيم فلما بلغ إلى
 قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد و
 ثمود اقشعر الوليد، و قامت كل شعرة في رأسه ولحيتيه
 ومرّ إلى بيته، و لم يرجع إلى قريش فمشوا إلى أبي
 جهل، و قالوا: يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا إلى
 دين محمّد أما تراه لا يرجع إلينا ، فعدا أبو جهل إلى
 الوليد، فقال : يا عم نكّست رؤوسنا، وأشمت بنا عدوّنا،
 وصبوت إلى دين محمّد قال : ما صبوت إلى دينه،
 ولكني سمعت كلاما صعبا تقشعر منه الجلود فقال له أبو
 جهل : اخطب هو؟ قال: لا إن الخطب كلام متصل وهذا
 لا يشبه بعضه بعضا قال أفشعر هو؟ قال: لا أما إنني لقد
 سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورملةا ورجزها
 ما هو بشعر قال: فما هو؟ قال: دعني أفكر فيه فلمّا كان
 من الغد قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول في ما قلناه ؟ قال:
 قولوا: هو سحر فانه آخذ بقلوب الناس فأنزل الله تعالى
 فيه: ﴿ ذَمَّرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وهذه الرواية تكشف بوضوح

مدى تأثير آيات القرآن وسلطانه على المتعصيين
والمعاندين.

- وفلجا لمن حاج به: الفلج الظفر بمن تخاصمه، والحجة
وجه الظفر عند الخصومة^(١)، وقد ورد الفعل حاج باثني
عشر موضعا في القرآن، كلها دلت على المجادلة
والمخاصمة في الكلام وتقول حاجتها حاجه حجاجا
ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجة التي أدليت
بها^(٢)، والمحاجة ضرب من ضروب الجدل كما بينا،
وقيل إنما تستحسن إذا جمعت معها الصواب والسرعة
في الرد على المقابل وهي بذلك تكون اعرق في نسب
الإصابة، فكم من جواب جاء بعد بظاً وإن كان صحيحا
لكنه لم يملك من الوقع شيء، فهذا القرآن ينقل لنا من
هذا الأدب بالجدال ليعلمنا كيف نتتصر، عندما يصور
تبجح النمرود على الله جل جلاله لنبيه إبراهيم عليه السلام بقوله
تعالى: ﴿أَنَا أَحِبِّي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ

(١) الفراهيدي، معجم العين (تح الدكتور مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي) الناشر

أسوة، ط الأولى - ١٤١٤هـ، مط باقري، ج ٣ ص ١٤١٢، ج ١، ص ٣٤٨.

(٢) ابن منظور لسان العرب، باب (حج) بتشديد الشين.

بِمَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿البقرة: الآية ٢٥٨، وقد ورد^(١) ((أن يهودياً قال لعلي عليه السلام ما فنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فرده علي عليه السلام بالحال فقال: ما اختلفنا فيه ولكننا اختلفنا عنه، ولكنكم قوم ما جفت إقدامكم من مياه النهر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة)).

- وحاملاً لمن حملة: وهنا يجب أن نلتفت إلى نقطة مهمة، وهي أنه تعالى يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ الحشر: الآية ٢١، والإمام عليه السلام يقول عن القرآن وحاملاً لمن حملة، فكيف بحمله وقد نأثت من حملة الجبال، والقرآن عندما يضرب بالجبل مثلاً، لما يمثل الجبل من عظمة، ولكن الجواب به انه لولا أن يتسلح حملة القرآن بما يمنحهم من وعي وبصيرة، لما استطاعوا حملة، والقرآن لا يوفق لحملة كائنا من كان لحملة إلا أن يجد فيه الاستعداد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله، من استضاء به نوره الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن جعله شعاراً ودثاراً أسعده الله^(٢).

(١) الشريف المرتضى علي بن الحسين، أمالي المرتضى (تعليق: السيد محمد بدر الدين الحلبي) الناشر مكتبة السيد المرعشي، قم، ط الأولى، ١٣٢٥هـ، ج ١، ص ١٩٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، الناشر فقه، مط آثار، ١٤٢٧، ج ٩٢، ص ٣٢.

- ومطية لمن أعمله : فقد ورد في الاثر عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكد إن من تفاعل مع القرآن فانعكس القرآن على سلوكه وأفعاله فان القرآن نافع وشافعه يوم القيامة، فعن يونس بن عمار قال ((قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم وديوان فيه الحسنات وديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامة الحسنات ويبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجد فأرضه كما أرضاني قال: فيقول العزيز الجبار: عبدي أبسط يمينك فيملاها من رضوان الله العزيز الجبار ويملا شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية (صعد درجة))^(١). وعن النبي صلى الله عليه وآله ((من قرأ القرآن فظن

(١) الكليني، الكافي (تعليق علي الكبر الغفاري) الناشر دار الكتب الإسلامية، ج ١،

أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد حقر ما عظم الله
وعظم ما حقر الله)).

- وآية لمن توسم به: التوسم: التفرس والعلامة، والمراد إن
من كان متوسما يكون القرآن آية وعلامة له أنه ليس من
عند غير الله ولما قال النجاشي ملك الحبشة لجعفر الطيار:
(هل تحفظ مما أنزل الله تعالى على نبيك شيئا؟ قال نعم
فقرأ عليه سورة مريم إلى قوله تعالى: ﴿ وَهَزِيْٓٔا۟ إِلَيْكَ بِجِدْعِ
النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِّيْٓ وَاشْرَبِيْ وَقَرِّيْ عَيْنًا ﴾ مريم:
الآية ٢٥، فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاء شديدا وقال
هذا والله هو الحق وفيه انزل وإذا سمعوا ما أنزل على
الرسول ﴿ تَرْمِيْٓٔ أَغْئُٔهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَا آمَنَّا
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِيْنَ ﴾ المائدة الآية ٨٣

- وجنة لمن استلأم به: أي لبس اللامة (درع الحرب) فلا
يتصور لمن اتخذ القرآن منهجا له في سلوكه وقوله وهو
يخوض غمار معركة الحياة أن يصل إليه مكروه، أو ينال
منه خصمه فيؤذيه أو يصرعه.

- وعلمنا لمن وعى: قال الله (ﷻ): ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى
 وَمَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الأعراف: الآية ٢٠٣، وقوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ
 لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ آل عمران: الآية ١٣٨، وقال رسول
 الله ﷺ^(١)، من أعطاه الله حفظ كتابه فظن ان أحدا أعطي
 أفضل مما أعطي فقد غمط أفضل نعمة. نعم للناس إذا
 تدبروا هذا القرآن، فكم في قصصه وأحكامه وأمثاله، من
 عجائب وغرائب فله السلطان والإمرة وفي مساحات آياته
 الحكم والعبرة.

- وحديثاً لمن روى وهنا إشارة لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّشَابِهًا ﴾ الزمر: الآية ٢٣، واللسان وما افرز من
 حديث هما الكاشفان عن قيمة صاحبهما، فمعياره
 ومقياسه بما يحسن من الكلام، قال علي عليه السلام: الجمال
 في اللسان والكمال في العقل، وقوله عليه السلام: ما الإنسان لولا
 اللسان إلا صورة ممثلة، أو بهيمة مهملة، وقوله عليه السلام:
 المرء مخبوء تحت لسانه^(٢)، وإذا كان للإنسان أن يتوسل

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، الناشر والطبع مكتب الإعلام الإسلامي،
 ١٤٠٤هـ، ج ٨، ص ٧٦.

(٢) هذه المجموعة من الأحاديث الشريفة المأثورة وردت في كتاب ميزان الحكمة
 للريشهري (باب اللسان) فراجع.

لمعالم الشرف كل الشرف في هذه الحياة ومواطن الفخر
في المجالس بوسيلة ،فعليه بالقرآن إن تحدث فيه فإن فيه
شرف الدنيا والآخرة.

– وحكماً لمن قضى: الحكم والقضاء موضوعان لهما التأثير
الأول في تقويم سلوكيات الناس لذا عندما توافرت
الفرصة لنبي من الأنبياء في الحكم خاطبه الرب الجليل
بقوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَكَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ﴾ ص: الآية ٢٦، ولعل أول التحفظات والتخوفات
التي أبدتها الملائكة على أول خليفة في الأرض قالوا:
﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة: الآية ٣٠، فكم
يحمل موضوع الحكم والقضاء من التحسس، لذ نقل
بعض المفسرين^(١)، عن ابن عباس قوله: أن رهطاً من
وجهاء اليهود تأمروا واتفقوا على الذهاب إلى النبي
محمد ﷺ بغية حرفة عن الإسلام، فذهبوا إليه ﷺ
وذكروا له أنهم قوم من مفكري وعلماء اليهود، وأنهم إن
اتبعوه ﷺ اقتدى بهم بالتأكيد بقية اليهود، وزعموا أن

(١) ناصر مكارم شيرازي، تفسير الأمثل، الناشر مدرسة الإمام علي عليه السلام، ١٤٢٦هـ -
مط سليمان زادة، ج٣، ص٥٣٣.

بينهم وبين جماعة أخرى نزاع (في قضية قتل أو أمر آخر) وطلبوا من النبي محمد ﷺ أن يحكم في النزاع المزعوم لمصلحتهم، ووعدوه أنه إن استجاب لأمرهم يؤمنوا به، فامتنع النبي محمد ﷺ عن إصدار حكم غير عادل، فنزلت الآية قوله: ﴿وَأَن اخُكُم بِئْتُهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: الآية ٤٩-٥٠، فجاء النص يحمل شعارا لا حكم إلا حكم الله وحكم الله في ما أنزل على نبيه من قرآن ، فهو الفصل ليس بالهزل.

الخاتمة

أخيرا ونحن نقطع شوطا متواضعا بين تلك الفقرات البليغة لخطبة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يصف كتاب الله، الذي أحكم ربنا العظيم صيغته ومبناه وقسم لفظه ومعناه، فسبحان ربنا الذي سلكه ينابيع في القلوب وصرفه بأبداع معنى وأغرب أسلوب، عجز أن يستقصي معانيه الخلق، ويجاري بمثل بيانه صاحب اللسان الطلق، جدير بنا أن نتدبر هذا القرآن كونه نعمة من الله على المسلمين بل وعلى كل من اتخذه منهجا ومبدأ، فالسعيد كل السعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، متنقلا بين حياضه ورياضه، فهو الكتاب الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، لذا دونت الخلاصة والخاتمة لهذه الأوراق وما جاء فيها بثلاث نتائج

أولا: لا بد من المحافظة على هذه النعمة نعمة القرآن التي حباها الله بها، التي لو كان للمسلمين على مر التاريخ حقبة زمنية كانت لهم السيادة والريادة على الغير فالفضل يعود لهذا للقرآن والذي أفصح رسول الله صلى الله عليه وآله

عن بعض معالم عظمته بقوله^(١) ((إني لأعجب كيف لا
أشيب إذا قرأت القرآن)).

ثانيا: ان رسول الله ﷺ قد ألزمتنا السؤال عن هذه النعمة
يوم القيامة فلا ينبغي أن نفرط بها قوله: يا معاشر قراء
القرآن إتقوا الله فيما حملكم من كتابه فإني مسؤول
وإنكم مسئولون إني مسؤول عن تبليغ الرسالة وأما أنتم
فتسالون عما حملتم من كتاب الله وسنتي^(٢).

ثالثاً: ومما يتوجب الانتباه إليه ونحن نتعامل مع القرآن أن
لانتجاوز عدل القرآن كونهم أهل بيت النبي الذين
خالطوا الكتاب ووقفوا على أسراره وبواطن معانيه يقول
النبي ﷺ: أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة
وكتابه وأهل بيتي ثم أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله
وأهل بيتي^(٣).

أخيرا كتبت البحث وأنا في رياض العلم وخزائن
الكتاب في مكتبة الجوادين العامة مؤسسة السيد هبة الدين

(١) الكليني، الكافي (تعليق علي أكبر الغفاري) الناشر دار الكتب الإسلامية، ج٢، ص٦٣٢

(٢) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي (تصحيح الشيخ حسين الاعلمي) الناشر مؤسسة

الاعلمي للمطبوعات، ج١، ص١٧.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

الحسيني الشهرستاني رحمته الله، وأنا انعم بجوار الصحن الكاظمي
الشريف على ساكنيه من الصلوات أفضلها ومن التحيات
أكرمها، باب الحوائج موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام ،
وأنا مستجير بدمتهم حيا وميتا ، راجيا الله تعالى أن يوفقني
لشفاعتهم وشفاعة آبائهم وأبنائهم الكرام ، إنه سميع مجيب.

المصادر :

- القرآن الكريم

- البحراني: كمال الدين ميثم بن علي (ت - ٦٧٩هـ)

شرح نهج البلاغة (تصحیح عدة من الأفاضل)، الناشر دفتر

نشر الكتاب - قم، ط الأولى - ١٣٧٩هـ

- البيهقي: علي بن زيد (ت - ٥٦٥هـ)

معارج نهج البلاغة (تح : أسعد الطيب) الناشر مكتب الإعلام

الإسلامي ، ط الأولى - ١٤٢٢

- بيضون: لبيب

تصنيف نهج البلاغة ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام

الإسلامي - قم، ط الثالثة - ١٤١٧هـ

- التستري: محمد تقي عليه السلام

بهبج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، الناشر مكتبة الصدر -

طهران - ١٣٩٠

- الخوئي: السيد أبو القاسم عليه السلام

البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء للطباعة والنشر- بيروت

لبنان، ط الثامنة ١٤٠١هـ

- الراغب: الحسين الأصفهاني (ت - ٤٢٥هـ)

- مفردات ألفاظ القرآن (تح: صفوان عدنان داو ودي)، دار القلم - دمشق - دار الشامية بيروت ، ط الأولى - ١٤١٢هـ -
- الراوندي: قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (تح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري)، الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مط الخيام، قم - ١٤٠٦هـ -
- الريشهري: السيد محمد ميزان الحكمة، النشر والطبع - مكتب الإعلام الإسلامي - قم - ١٤٠٤هـ -
- الشريف الرضي: محمد بن الحسين (ت - ٤٠٦هـ)
- نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني)، الناشر العتبة العلوية، ط الثالثة - ١٤٣١هـ، مط - التعارف
- الشريف الرضي: محمد بن الحسين (ت - ٤٠٦هـ)
- نهج البلاغة (تح: السيد جعفر الحسيني)، الناشر دار الثقلين - قم، ط الأولى - ١٤١٩هـ -
- الشيرازي: السيد محمد الحسيني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
- توضيح نهج البلاغة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر - قم، ط الأولى - ١٤٢٣هـ -

- الشيرازي: الشيخ ناصر مكارم
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر مدرسة الإمام علي
عليه السلام - ١٤٢٦هـ - قم، ط الأولى
- الطباطبائي: محمد حسين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تفسير الميزان ، الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات -
بيروت لبنان ، ط الثالثة - ١٣٩٣هـ
- الطبرسي : احمد بن علي أبو منصور (ت ٥٢٠هـ)
الاحتجاج (تح : ابراهيم البهادري - محمد هادي به) ، ، دار
الأسوة للطباعة والنشر ١٤٢٥هـ - إيران، ط السادسة
- الطبرسي: أبي علي القضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)
مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة ناصر خسرو للتوزيع -
قم ، ط الثامنة ١٤٢٦هـ
- الطبرسي: ابي علي القضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)
تفسير جوامع الجامع (تح : مؤسسة النشر الإسلامي - قم) ،
ط الثانية - ١٤٢٣هـ
- الطريحي : الشيخ فخر الدين (ت ١٠٥٨هـ)
مجمع البحرين (تح: السيد احمد الحسيني) ، الناشر المكتبة
المرتضوية - ١٣٧٥هـ ، ط المحققة الأولى - طهران

- الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)
- كتاب العين (تح : د. مهدي المخزومي - د. ابراهيم السامرائي) ، الناشر دار أسوة - ١٤٢٥هـ - طهران ،
- الفيض: الملا محسن الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)
- تفسير الصافي (تصحيح الشيخ حسين الاعلمي) ، الناشر مؤسسة الاعلمي - بيروت لبنان
- القرطبي : محمد بن احمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)
- الجامع لأحكام القرآن، الناشر مؤسسة التاريخ العربي، مط دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ، بيروت لبنان،
- العياشي: محمد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ)
- تفسير العياشي (تح : العلامة السيد هاشم المحلاتي) الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان - ط الأولى - ١٤١١هـ
- الكليني : أبي جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ - ٣٢٩هـ)
- الأصول من الكافي (تصحيح: علي اكبر غفاري) ، الناشر دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط السادسة ١٣٧٥هـ
- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ)

الناشر- فقه (مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية إيران - قم، مط
آثار، ط الأولى - ١٤٢٧هـ

- مغنية: محمد جواد بشير قالين

في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين - بيروت لبنان، ط
الأولى - ١٩٧٢م

ابن ابي الحديد: عزالدين ابوحامد بن هبة الله (ت ٦٥٥هـ)
شرح نهج البلاغة (تح محمد ابراهيم) ، الناشر دار الكتاب
العربي - بغداد، مط أميرة، بيروت لبنان، ط الأولى - ١٤٢٨هـ
- المرتضى: علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ)

أمالي السيد المرتضى (تصحیح: الشيخ أحمد بن الأمين
الشنقيطي نزيل القاهرة)، منشورات مكتبة المرعشي النجفي
بشير قالين - قم، ط الأولى - ١٣٢٥هـ

بين الخطابين الديني والتعسفي قراءة
في خطبة أمير المؤمنين (القاصعة)

المقدمة

الحمد لله الذي انعم فخلق، ووالهم العباد ووفق ،
والصلاة والسلام على الخاتم لما سبق والهادي لمن لحق،
وعلى اله الهداة بالحق، دوائر العلوم وأصول المعارف
الميامين من آل طه وياسين وبعد

مما لا ريب فيه إن نهج البلاغة منظومة في مملكة
الأدب الاممي، لم تقتصر الفائدة به فقط لمن ينشد مثلاً
أعلى في البلاغة والأدب، فقراءة عابرة لمقدمة الشريف
الرضي جامع النهج الشريف وهو يعبر عن شمولية النهج
المبارك يقول فيها (فيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ
والزاهد، ويمضي في أثنائه الكلام في التوحيد والعدل
وتنزيه الله ﷻ) عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وجلاء
كل شبهة).

ثم يقول بموضع آخر (يتضمن من عجائب البلاغة
وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواب الكلم الدينية
والدنيوية مما لا يوجد مجتمعاً بكلام ولا مجموع الأطراف
من كتاب) نعم وهو لذا بعد هذا الوصف من أعظم الكتب
الإسلامية بعد القرآن شأنها وأرفعها قدراً وأجمعها محاسناً، له

في معظم المواضيع كلام وتوضيح وفي أغلب المسائل تفصيل وتصريح، ولا يخفى على أولي العلم والنهي إن قائله هو الناطق بالصواب، وباب مدينة العلم، الإمام الوصي، إمام الكل بالكل، اعني علي بن أبي طالب عليه السلام، ولعمري إن كلامه لمنهج البلاغة ومسلك الفصاحة، عجز لسان الخطباء أن يأتي بمثل خطبه، وحارت عقول الحكماء في بيدااء مواعظه وحكمه، وأعيب أهل المحابر والأقلام أن تعبر بمثل رسائله وكتبه، ونحن بعد التوفيق من الله والشروع بكتابة هذا البحث في النهج الشريف، اخترنا أن نقف على بعض الظواهر الاجتماعية متناولين منها (الشخصية الاجتماعية، والتعصب والحمية، الإرادة وحرية الرأي) كسلوكيات في حياة الفرد والمجتمعات والشعوب، كيف تعامل معها الأغنياء والملوك من مترفة الأمم بمنطق تعسفي، وكيف تعامل الأنبياء معها بخطاب ديني حر، وقد كانت (الخطبة القاصعة) أنموذجا، هذه الخطبة من نهج البلاغة التي ذم فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام.

الكبر متعرضا فيها لإبليس اللعين وهو يرفض السجود
لآدم (عليه السلام)، فكان عنوان البحث موسوماً (بين الخطابين
الديني والتعسفي قراءة في خطبة أمير المؤمنين القاصعة).
وأما اختياري للخطاب الديني أمام المنطق التعسفي
القسري ، فالسبب لما يحتوي الأول على مضامين الحرية
بمؤشرات ايجابية ومنها الحرية الفكرية وعدم مصادرة الآراء
من خلال دعوة الأنبياء (عليهم السلام) التي أرادت للإنسان أن
يكون مجردا من كل الميولات النفسية والخارجية حرا في
تفكيره، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا
تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
(سورة النحل: ٧٨) وقوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا
كَفُورًا﴾ (سورة الإنسان: ٣) وقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة: ٣٦٥) فلا بالجبر والقسر تتقوم
الشعوب والأفراد ولكن بمراعاة الحقوق والواجبات وتحقيق
العدل الذي يقول فيه علي (عليه السلام): العدل قوام الرعية وجمال
الولاية^(١)، وقد خرج البحث موشحا بالآيات والروايات وما

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ط الأولى ١٤٠٤هـ، ج٦ - ص ٧٩، رقم الحديث

ورد من شواهد ومشاهد مما يختص به وردت عن السلف،
وأهل الشرف من آل محمد (ﷺ) معتمداً التفاسير،
والمصادر الحديثية، فكان بعد المقدمة تمهيد وثلاثة محاور
وخاتمة .

التمهيد

الخطبة القاصعة رواها الماوردي في أعلام النبوة^(١) يقول ابن أبي الحديد^(٢) ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بالقاصعة وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وانه أول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقه .

والقاصعة لغة من قصع فلان فلانا أي حقره لأن الإمام (عليه السلام) حقر فيها حال المتكبرين أو من قصع الماء عطشه إذا أزاله لان سامعها لو كان متكبرا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش^(٣)، يقول صاحب شرح النهج ابن أبي الحديد المعتزلي ويجوز أن تسمى بالقاصعة لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية، من قولهم قصعت القملة^(٤)

(١) محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م ، ص ٣٩٤ .

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم) ، مط الأميرية ، ط الأولى ١٤٢٨هـ ، ص ٨٤ .

(٣) محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م ، ص ٣٩٤ .

(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم) ، مط الأميرية ، ط الأولى ١٤٢٨هـ ، ص ٨٤ .

علما إن الخطبة من أولها إلى آخرها جاءت تدم الكبر
والعصبية والحمية

جاء في مقدمتها قوله: (عليه السلام) (الحمد لله الذي لبس العز
والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما
على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه
فيهما من عباده

إلى أن يصف (عليه السلام) مشهد امتناع إبليس عليه اللعنة
من أمر الله له بالسجود لأدم كما أمر غيره من الملائكة
فأطاعوا، فيقول (عليه السلام) (اعترضته الحمية فافتخر على آدم
بخلقه وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين،
وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية).

ثم أخذ (عليه السلام) يحذر الناس من سلوك طريق إبليس
بقوله (ألا ترون كيف صغّر الله بتكبره ، ووضعه بترفعه ،
فجعله في الدنيا مدحورا واعد له في الآخرة سعيرا).

إن مشهد إبليس عندما تمرد على أمر الله منحرفاً عن
الملائكة يصور لنا أول معركة على وجه هذه البسيطة ما بين
آدم (عليه السلام) وبين إبليس كانت مادتها الأساس هي العصبية
والتكبر واللجاجة وهكذا قدر لهذه المعركة في الاستمرارية

ما بين معسكر الأنبياء ومعسكر الجبابرة فعندما نراجع سيرة الأنبياء العظام وأسباب انحراف الأقوام السالفة عن سلوك طريق الحق والدعوة الإلهية ، يتضح لنا جيدا إن هذه الأمور الثلاثة (العصية ، والعناد ، والتقليد الأعمى) كان لها الدور الأساس في عملية الانحراف هذه بصور طالما احتفظ بها القرآن قوله تعالى على لسان نوح (عليه السلام) ﴿ وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ

لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصْبَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَوْا بَنَانَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتَكْبَارًا ﴾ وفي موضع آخر يوضح عنادهم ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (سورة نوح: ٧، ٢٣) أسماء ألهمتهم، وإما على لسان نبيه إبراهيم (عليه السلام) في قصته مع أبيه أزر كيف كان منطق الأب منطق التقليد الأعمى الذي دفع به أن يقف معارضا وكافرا بما جاء به هذا النبي من إصلاحات للناس

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: ٥٢، ٥٣) وهذا عين ما استخدمه أهل مكة مع الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله من هذه السلوكيات ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَاتِبِينَ ﴾ (سورة البقرة: ١٧٠) من هذه

الآيات التي يؤرخ لنا القرآن من خلالها لظاهرة التعصب والعناد التي تثمر وتؤسس للتقليد الأعمى وكأنها منهجاً عاماً في سلوكيات الأقوام وهم يتحركون في خط الانحراف ومؤشراً سلبياً واضحاً في حركاتهم وسكناتهم وهم يقفون بوجه دعوات الأنبياء على مر التاريخ وكأنها حالة ميراث من ذلك المشهد الأول الذي يصوره لنا القرآن بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ وأعجب ما في التعصب انه باب يأخذ بصاحبه نحو الانغلاق والجمود، لذا مقتته الأنبياء بخطاباتها وأكثر من ذلك انه تعلق غير منطقي من الإنسان يفقده صفة التحرر ويأخذ به نحو الميولات لذا وفي هذا المضمار يقول رسول الله (ﷺ) (أعدل الناس من رضي ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لها)، فكلما تحرك الإنسان على مستوى إزالة هذه التعصبات من ساحة الحياة البشرية والمجتمع الإنساني وتعامل الناس فيما بينهم من موقع العقل والمنطق والحوار الهادف والهادئ عندها تزول الخلافات وأسباب النزاع ، فيعيش الإنسان في حركته الاجتماعية بكل أشكال المحبة والطمأنينة، وصورة وأي صورة بل وأبهى صورة يرسمها أمير

المؤمنين (عليه السلام) للمجتمع العادل يقول في إحدى روائعه في نهج البلاغة (إذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل... فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة وإذا غلبت الرعية واليها أو أجهف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور)^(١).

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٢٠٠٥م، ص ٤٥.

المحور الأول

معالم العظمة والرقي في الشخصية الاجتماعية

بين نظريتين

وقد اخترنا لبيان هذا المحور نصين في الخطبة

(القاصعة).

الأول قوله (عليه السلام) وهو يصف دخول نبيين من أنبياء الله

(عليهما السلام) وهما موسى وهارون (عليهما السلام)، على فرعون فيقول:

((ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون (عليهما السلام)

على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي .

فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه . فقال: ألا تعجبون

من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما

ترون من حال الفقر والذل، فهلا القي عليهما اساورة من

ذهب إعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه)).

شرح المفردات:

مدارع الصوف: جمع مدرعة بكسر الميم وهي كالكساء.

وتدرع الرجل وتمدرع إذ لبسها والعصي - جمع عصي

وتقول سوار المرأة والجمع أسورة وجمع الجمع أساوره^(١)
قراءة على النص :

أولاً: أن أول تأمل في هذا النص يوضح محاولة
فرعون وهو يضع العراقيل بسفسطة وتكابر مزعوم، وقد لجأ
إلى القيم الفارغة والمعايير الكاذبة كي يبدد ما قام به نبي الله
موسى وأخوه هارون وهما يزعلان باطل دعواه للناس
بقوله أنا ربكم الأعلى، مستخدماً إفتخارين، هما ملك مصر
ونهر النيل حيث بين الله عز اسمه ذلك في القرآن قوله تعالى
على لسان فرعون ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ
مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٥١).
جاعلاً مقام الإنسان الوجيه بالمجتمع من خلال اقترانه
بالذهب والمال والفضة معايير وحدوداً للشخصية
الاجتماعية ومشيراً بالوقت نفسه إلى أن الفقر وانعدام الحال
الاقتصادية، مؤشراً لتحقير الإنسان ونزول قدره حيث صنف
موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالطبقة المسحوقة حيث اخبر
القرآن على لسانه ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مِهِنٌ وَلَا يُكَادُ يُبِينُ﴾ (سورة

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم)، مط الأميرية، ط الأولى

الزخرف: ٥٢) وان عبارته (مهين) إشارة إلى الطبقة المسحوقة
مستحقرا لبس الصوف، والعمل برعي الغنم معييا عليهم هذا
الحال، وهذا المنطق يكشف لنا عن طبيعة الخطاب الفاسد
للمجتمعات المتردية

وبهذا قول الشاعر^(١)

عيناك من أثوابه في جنة وإذا حدثته تكشف عن صبي
أنا لا تغرني الطيالس والحلي كم في الطيالس من سقيم أجرب
ثانياً : أن منطقاً مثل هذا الذي يتبجح به فرعون، إن
ساد فأصبح ثقافة معتمدة في المجتمعات، لاشك ولا ريب
سوف يترك أثراً سلبياً في سلوكياتهم وانحرافاً في عقيدتهم ،
يكون همُّ الفرد فيه جمع المال والذهب والوثوب على مراكز
التسلط حتى يرتقي موقع المتنفذين من الجبابرة والمترفين،
يقول عروة ابن الورد^(٢)

مخاطبا زوجته

دعيني للغنى أسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

(١) عبارة (مهين) إشارة إلى الطبقات المسحوقة : راجع تفسير الأمثل، أبو ماضي: إيليا،
الجداول، مط : الزهراء، بغداد، (د.ن)، ص٥٣.

(٢) ابن الورد: عروة ، ديوان عروة ابن الورد(شرح ابن السكيت) ، (تح: عبد المعين
الملوحي)، مط : وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ص٩١.

وأبعدهم وأهونهم عليهم وان أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندي وتزدريه خيلته وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلالاً يكاد فؤاد ملقيه يطير
قليل ذنبه وذنب جم ولكن للغني رب غفور
ثالثاً: ولعل من المهم أن نقرأ الفقر والقلة الاقتصادية

قراءة إسلامية فمنها ماورد في الكتاب المجيد ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ
أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: ١٥) وما ورد
عن الخاتم الأعظم وأهل بيته منها قول النبي (ﷺ) (الفقر
فخري وبه أفتخر) ^(١) وقوله (ﷺ) (أغنى الغنى القناعة) ^(٢)
وقوله (ﷺ) (يا علي إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه
فمن ستره أعطاه الله مثل أجر الصائم) ^(٣) وعن أبي عبد الله
الصادق (عليه السلام) قال: (في مناجاة موسى (عليه السلام) يا موسى إذا
رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحبا بشعار الصالحين، وإذا رأيت
الغنى أقبل فقل ذنب عجلت عقوبته) ^(٤) وعندما سألوا

(١) اليزدي: عباس إسماعيل : ينابيع الحكمة، مسجد جمكران، قم، ط الثانية، ١٤٢٤هـ،

مط: السرور، ج٤، ص٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٢٥.

الرسول عن الفقر قال: خزانة من خزائن الله تعالى وقيل له
ثانيا ما الفقر يا رسول الله فقال كرامة من الله وقيل له ثالثا ما
الفقر يا رسول الله فقال (ﷺ): شيء لا يعطيه الله إلا نبيا
مرسلا أو مؤمنا كريما على الله تعالى^(١)، بعد هذه الأحاديث
ينبغي أن نتعامل معها على إن الإسلام لا يعتمد الفقر مظهراً
في حياتنا، ولكن في الوقت نفسه يعلمنا أن نتعامل معه
تعاملاً واعياً، نفهم من خلاله أن القيمة الحقيقية للإنسان لم
تقف عند حدود ما يملك من الأموال ولكن بقدر ما يحسن
من المعنويات والقيم العلمية والعملية التي تضعه في مصاف
أهل العلم والمعرفة ومواطن الشرف، وان لا يكون الفقر
عاملاً للتخلي عن مبادئنا، وهنا اختتم بكلمة لأmir المؤمنين
(عليه السلام) يصف بها رسول الله (ﷺ) في بعض أحواله (ولقد
كان في رسول الله (ﷺ) ما يدل على مساوي الدنيا
وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع
عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمداً بذلك أم
أهانته؟ فإن قال أهانه، فقد كذب والله العظيم بالإفك

(١) المصدر السابق، ص ٣٢٩.

العظيم، وان قال أكرمه فليعلم إنما أهان غيره عندما بسط الدنيا له وزواها عن أقرب الناس إليه (١).

رابعاً: وفي النص ما يشير إلى بعض المحاولات التي تبجحت بها قريش فوضعتها بوجه النبي الخاتم، حين قاد دعوته وحركته النبوية ليتحدى انحدار المجتمع آنذاك، وأعني بذلك قولهم الذي يذكره القرآن ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الزخرف: ٣١) وسؤال هنا على حجم التاريخ من هو العظيم المعني بقولهم هذا يختاره الله لرسالته، أبو سفيان مثلاً أو الوليد بن المغيرة أم أبو جهل أم.. أم فرعون المتجبر كل هؤلاء ممن تسلطوا على العباد والبلاد، فهل يا ترى هؤلاء من يقود المجتمعات نحو رسالة السماء وينهضوا بواقع الشعوب المحرومة وهم السبب في اضطهادهم، أم يا ترى هؤلاء الذين يشعرون في معاناة الفقير وأسباب تردي الشعوب، فإن لم يكن المحرر من وسط

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (سورة البقرة: ١٢٩) هذا

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٣٢٢-٣٢٣ الخطبة: ١٥٨

الرسول قدوة وأسوة ، نأمل به من المعاني الشمم والقمم،
معطاء مضحياً، ذلك لان العطاء والتضحية أمر أراد الأنبياء أن
يكون من صميم خطابها للناس حتى أصبحت ظاهرة العطاء
تمتلك في أدبيات القرآن ما يقدمها على التقوى يقول
سبحانه ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ (سورة الليل: ٦) وبهذا
يقول علي واصفا رسول الله (خرج من الدنيا خميصا وورد
الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله،
وأجاب داعي ربه فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا
سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه) (١).

(١) محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ج٢، ص ٣٢٣ .

النص الثاني من هذا المحور:

يأتي كلام أمير المؤمنين ليبدأ بالرد على مثل السفطات البالية والمعايير الفارغة في تقييم شخصية الإنسان في المجتمع التي يتبجح بها فرعون وغيره فيقول : (ولو أراد الله سبحانه لأوليائه حيث بعثهم ، أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل ، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء ولما وجب للقابلين أجور المبتلين ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفه في ما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ الأبصار والأسماع أذى)

نعم أراد الله عز اسمه أن تكون هيبة الأنبياء بهذه الأمور الخارجة عن ذاتهم التي كانوا يتمتعون بها من السمات والصفات التي اصطفاهم الله بسببها والتي يبينها أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى روايته في نهج البلاغة وهو يصف الأنبياء فيقول : ((فاستودعهم في أفضل مستودع ، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف،

حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد (ﷺ)، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا، وأعز الارومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناؤه، عترته خير العتر وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر..... فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ((^(١)).

من مظاهر هذه العظمة كان الأنبياء وهكذا أراد الله العز والكمالات لمن تبعهم، لا يبالي به سواء كان من الزنج أو غيرهم وإنما المهم سماته وأخلاقه على هذه الكيفية تكون الشخصية الناجحة في المجتمع، تصنع التاريخ لنفسها من نفسها لا بالاعتماد على ذهب أو فضة وكم ممن ملاؤا التاريخ بعلومهم ونتاجاتهم بجهود فردية فعرفهم العالم وقرأتهم الأجيال من هذه القمم، وان قوله تعالى على لسان أخوة يوسف ﴿ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ (سورة يوسف: ٩٠) فهم بذلك عرفوا يوسف من يوسف نفسه وبمثل هذه الصفات التي امتلكها أتباع الرسل فحققوا من الانتصارات التي مازال الزمان يلقيها نشيداً خالداً للأجيال ولاسيما أتباع الخاتم الأعظم رسول الله (ﷺ) وهم في ركب مسيرة قدر لها أن تغير وجه التاريخ والعالم، وهم على ما نقرأهم من بساطة في العيش .

(١) المصدر السابق، ج١، ص٢١٢-٢١٣.

المحور الثاني

الدين والاعتقاد قيد الإرادة والاختيار

في هذا المحور بعد أن قطعنا شوطاً فنقف عند قول
(عليه السلام) الذي يوضح فيه كيف ينبغي لنا التعامل والانقياد نحو
الرسول والإيمان برسالاتهم عن طريق القناعات وحرية
الإرادة، راداً على التخرصات والتحججات التي يطلقها
أصحاب الأفكار الرجعية من أهل الجاهليات بما يشترطه
في الهادي أو المصلح فيقول: (ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا
ترام، وعزة لا تضام، وملك تمتد نحوه أعناق الرجال ، وتشد
إليه عقد الرجال ، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار
وأبعد لهم في الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو
رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة،
ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الإتيان لرسوله، والتصديق
بكتبه، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره، والاستسلام
لطاعته، أموراً خاصة، لا تشوبها من غيرها شائبة، وكلما
كانت البلوى والاختيار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل).
تأملات حول النص:

أولها: أن أدنى تأمل في النص يأخذنا إلى مجموعة من المفاهيم: وهي ينبغي أن يصاحب المرء وهو ينساق إلى الدين أو المعتقد عامل الإرادة والقناعات، حتى يعلم من أين وفي أين وإلى أين، فلا بالقوة والرغبة ولا بالمال والرغبة يكون الانتماء والانقياد للأديان، ولقد حفظ لنا التاريخ نماذج رائعة ممن وقفوا للدفاع عن هذا الدين من الرساليين في واقعة بدر الكبرى، كيف أنهم خرجوا على جابرة قريش وما كانوا يملكون من السلاح سوى الجريد والعصي فحققوا الانتصارات تلو الانتصارات فقد روي عن عبد الله بن رواحه قوله: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا كثرة سلاح وكثرة خيل، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به^(١).

فإذا كانت الإرادة والعزيمة هما الرفيق لأهل الأديان والمعتقد كان أهل الدين أقوىاء وأهل مبادئ وإلا لاخير في المعسكرات الدينية إن لم يكن أهلها من أهل المبدأ، مؤمنين بقضيتهم، يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لعامله على المدينة سهل بن حنيف في خصوص من لحق من معسكره بمعسكر معاوية يقول: (أما بعد فقد بلغني أن رجلا ممن

(١) المجلسي، بحار الأنوار، سنة الطبع ١٤٢٧هـ، ج ٢١، ص ٦١.

قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا، فرارهم من الهدى، والحق، وإيضاعهم إلى العمى، والجهل، وإنما هم أهل دنيا، مقبلون عليها ومهطعون إليها، قد عرفوا العدل، ورأوه، وسمعوه، ووعوه وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعدا لهم وسحقا^(١).

ثانيها: إنما يستخدم القوة لفرض أفكاره ومشاريعه، من أعوزه المنطق والحجة، والأنبياء في خطابهم الديني ومعتقدهم السماوي، أهل المنطق المتين والحجة البالغة بالاستدلالات الغنية بالمعجزات، خطابهم يقارع الحجة بالحجة وبالذليل، فلم يخش الإسلام أي لسان وأي جدال وحوار، فعلمنا إن لغة الدليل لغة أهل العلم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة البقرة: ١١١) والأخبار التي ترد من استخدام الإسلام للقوة فلأسباب منها محاربة الشرك وعبادة الأوثان فإنهما ليسا من الدين وكذلك لدفع

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ٦١٧.

المؤامرات التي تحيط به، وكذلك لأجل الحصول على حرية الدعوة والتبليغ^(١).

ثالثها: إن عدم مصادرة الإرادات وحرية التعبير لأهل الأديان وهم يتحركون ضمن المنظومة الدينية والاعتقادية ، هذا ما حرصت عليه الأنبياء يقول مؤلف كتاب حضارة الإسلام والعرب : كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأخرى من التساهل بحيث إن رؤساء تلك الجماعات كان مسموحاً لهم بإنشاء مجالسهم الدينية الخاصة^(٢) حتى قيل^(٣) إن جمعا من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول الله (ﷺ) للتحقيق والاستفسار أقاموا قداسا في مسجد النبي في المدينة بكل حرية^(٣)، وإذا أردنا أن نتكلم عن أدبيات الدين في حفظ الحقوق للأقليات من أهل الملل الأخرى ، فدونك رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) حيث يضع حقا من الحقوق اسماء حق أهل الذمة وفيه يقول: (وأما حق أهل الذمة فالحكم أن تقبل منهم ما قبل الله،

(١) ناصر مكارم شيرازي ، تفسير الأمتل ، مط سليمان زادة ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) المصدر نفسه: ص ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه: ص ٩٤ .

وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده)، فمنطق القسر والتعسف يخالف الذوق والفطرة، والصواب احترام الناس في تفكيرهم وعقولهم ما زال ذلك التفكير بحدود المعقول لا التهريج وفي نفس الوقت احترام الغير مادام في سلوكه الحفاظ على المواطنة ومن هنا ترى عليا ذلك الحاكم الإسلامي وقف يخاطب احد الخوارج وقد قطع الأخير على أمير المؤمنين (عليه السلام) الكلام عندما كان يخطب يوما في مسجد الكوفة ويعارضه فقال له (عليه السلام): إن لكم علينا أن لا نبداً كم بقتال ، وأن لا نقطع عليكم الفياء وان لا نمنعكم مساجد الله^(١)، وهنا يبين على عليه السلام طبيعة التعامل مع المعارض له في الحكم فيهبه حق إبداء الرأي وحق التمتع بخيرات البلد مادام محافظا عليه، وحق التردد على المساجد وهي دوائر القرار الكبرى في ذلك الزمان.

(١) المصدر السابق: ص ٩٤.

المحور الثالث

العصبية كموروث اجتماعي بين مترفي الأمم وبين أهل المبادئ والقيم

عالج الإمام (عليه السلام) موضوع العصبية لو افترض لها أن تكون مظهرا سلوكيا عند الناس، كيف أنه جعل منها عاملا داعما في حركة الحضارات والمجتمعات نحو الإيجاب لا السلب فيقول: **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذيين) فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجدهاء والنجدهاء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغبية، والأحلام العظيمة).

شروح الألفاظ :

المترفة: على صيغة اسم مفعول - الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات^(١).

(١) هادي المدرسي ، أخلاقيات أمير المؤمنين ، ط الأولى ، ١٤١١هـ ، ص ٢٩٨ .

وآثار مواقع النعم: ما ينشا منه من التعالي والتكبر^(١)
التعصب: من العصبية وهي المحاماة والمدافعة عمن يلزمك
أمره

وعصبة الرجل: بالتحريك جمع عاصب ككفرة جمع كافر
وهم بنوه^(٢)

والتعصب اصطلاحا: الارتباط غير المنطقي بشيء معين إلى
درجة إن الإنسان يضحى بالحق من اجل ذلك^(٣)
يعاسيب: جمع يعسوب وهو أمير النحل، ويستعمل مجازا في
رئيس القوم كما هنا^(٤)

الأخلاق الرغبية: المرضية المرغوبة، والأحلام: العقول^(٥)
تأملات في النص:

أولا: لم تكن الأديان وخطابات الأنبياء يوما تدعوا الإنسان
إلى ترك أهله وعشيرته وأولاده، ولكن بالوقت نفسه
حرصت على تفعيل الهدف المقدس في نفس الإنسان

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ص ٤٠٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الطريحي، مجمع البحرين، (تح: السيد احمد الحسيني)، مط الحيدري، ص ١٢٢.

(٤) ناصر مكارم شيرازي، الأخلاق في القرآن، ط الثانية ١٤٢٦هـ، مط سليمان
زادة، ج ٢، ص ١٨١.

(٥) محمد عبده، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، هامش ص ٤٠٥.

وتفعيل جانب الأخلاق فيه نظريا وعمليا وإلا فالدين بطبعه
يحث على الارتباط بالعشيرة فقول رسول الله ﷺ: خيركم
المدافع عن عشيرته ما لم يأثم^(١)

ولم تكن الأديان السماوية يوما تأمر بقطع العلاقات
والمحبة بالأرحام أو إهمال رؤوس الأموال وتجاوز
العواطف الإنسانية وإلغائها ، ولكن هناك مفاصل تمر على
الإنسان في حياته ومفترق طرق، منها إذا أصبح بين أمرين
الأول عواطفه نحو أهله وأمواله وأولاده، والثاني دينه
ومعتقده فينبغي تحقيق الرعاية بينهما ولكن في بعض
الأحيان ينبغي أن يكون حاكم الترجيح عنده هدفه المقدس
هو الأول ولقد وردت من الأخبار ما يؤيد كيف أن الأوائل
من الصحابة طالما أظهروا ولاء للإسلام وللنبي ﷺ يقول
علي (عليه السلام)^(٢): ولقد كنا مع رسول الله (ﷺ) ، نقتل آباءنا
وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا ،
وتسليما ، ومضيا على اللقم (معظم الطريق وجادته) ، وصبرا
على ممرض الألم ن وجدا في جهاد العدو. ولقد كان الرجل

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد الريشهري ، ميزان الحكمة .

منا والآخر من عدونا، يتصاولان تصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما، أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا ، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقيا جرانه (أي البعير بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره)، ومتبوئا أوطانه.

وبهذه الكلمات من أمير المؤمنين عليه السلام يتوضح لنا كيف كان الأوائل من المنتجبين ممن شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه واله المخاضات الأولى للإسلام كيف قام الإسلام بهمة هؤلاء المضحين بكل شيء .

ثانياً: مما لاشك فيه إن وجود حالة العصبية والحمية بشكلها السلبي باعث على تخلف ذلك المجتمع، وهي في الوقت نفسه تكبيل للعقل والفكر الإنساني ومنعه من التحليق في عوالم الإدراك الصحيح والتشخيص السليم، وأساساً فإن انتقال السنن الخاطئة من جيل إلى آخر ومن قوم لآخرين، ما كان إلا تحت وطأة هذه الظواهر من التعصب والعناد واللجاجة المشؤومة، يقول علي بن الحسين السجاد (عليه السلام):
حين سأل عن العصبية فقال العصبية التي يأثم عليها صاحبها

أن يرى شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم^(١).

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر مهم وهو أن العصبية تنقسم إلى نوعين، فمثلما توجد هناك عصبية ذات سلوك سلبي والتي من نتائجها أن تجعل الإنسان ضعيف الشخصية مرة وتؤدي إلى الانزواء الاجتماعي والفكري مرة أخرى وهذه التي ذمها الإسلام، والتي صنف رسول الله (ﷺ) صاحبها مع أعراب الجاهلية حيث يقول: من كان في قلبه حبة من خردل عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية^(٢)، فإن هناك من العصبية ما تصب في مؤشر الإيجاب وهذا ما أراد أن يقوله أمير المؤمنين يوم أن وظّف جانب العصبية نحو الشمم والقمم من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي من صميم حضارتنا والتمسك بالتراث الأصيل من حفظ ذمام الجار ومكارم الأفعال بقوله:

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ج ١، ص ١٢٩.

(٢) ناصر مكارم شيرازي، الأخلاق في القرآن، ط الثانية ١٤٢٦هـ، مط سليمان زادة، ج ٢، ص ٢٠٠.

فإن كان لابد من الوصية إلى كلمة العظيمة والتي هي مكارم الأخلاق في حضارتنا الإسلامية ومنها ما يقوله الشاعر العربي :

ناري ونار الجاري واحدة وإليه قلبي ينزل القدر
أعمى إذا ما جارتني برزت حتى يوارى جارتني الخدر^(١)
ولأجل هذا ورد في الخبر (لم يدخل الجنة حمية غير
حمية حمزة ابن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضبا للنبي
في حديث (السّلا) الذي ألقى على النبي^(٢)، فإن انتصار
حمزة رضوان الله عليه لرسول الله (ﷺ) إنما هو انتصار
للفضيلة والكلمة الطيبة.

ثالثاً: إن حالة التحرر في سلوكيات الإنسان وابتعاده
عن الميولات القبلية والتسليم إلى الحق ، فضيلة أخلاقية
وسبب في التقدم العلمي والاجتماعي والتربوي والأخلاقي
للسعوب والتطور الحضاري، لأن التعلقات القومية بشكل
فارغ بتقديم ذوي الأرحام في كل شيء وتناسي غيرهم وإن

(١) القائل حاتم الطائي

(٢) ناصر مكارم شيرازي ، الأخلاق في القرآن ، ط الثانية ١٤٢٦هـ ، مط سليمان
زادة، ج٢، ص٢٠١.

كانوا الأجدر، عامل في تردي الشعوب و من نتائجه ابتعاد
الإنسان عن الحق والعدل وهو بالتالي مضرّة في حركة
المجتمع نحو الخير والازدهار، وهذا ما أظهره بعض
أصحاب النبي ﷺ، فقد ورد أن أبا عزيز أخا مصعب بن
عمير لأبيه وأمه في اسري بدر من المشركين، قال: مر بي
أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنني، فقال: شد
يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز
يا أخي هذه وصاتك بي، فقال مصعب انه أخي دونك (أي
يقصد الأنصاري الذي أسره) ^(١).

(١) الشيخ محمد قوام الوشنوي، حياة النبي وسيرته، مط : أسوة ، ط الثانية ١٤٢٤هـ،
ج ٢ ، ص ٦٥.

الخاتمة

أن ما تناولناه من محاور في ما تقدم من البحث يجمعها عنوان التعصب واللجاجة والتقليد الأعمى، وهذه السلوكيات السلبية ينبغي علاجها واستئصالها من المجتمع وهذا لا يكون إلا عن طريق الالتفات مرة إلى الدوافع والجذور لهذه الرذائل والسعي بجد لأزالتها من واقع الإنسان وباطنه، وقلع جذور الأنانية، والإفراط في حب الذات والتعامل مع المواضيع بشكل مجرد، ومراعاة جانب انخفاض المستوى الثقافي كونه احد الأسباب الداعية إلى ذلك، وضعف الشخصية والعزلة الاجتماعية وأمثال ذلك، ولا بد لإزالة هذه الصفة الرذيلة (التعصب)، تطهير النفس منها والارتقاء والارتفاع بالمستوى العلمي والثقافي للأفراد، والتعرف على الأقوام والشعوب والاطلاع على أفكارهم وعقائدهم، وتعديل حب الذات في شخصية الإنسان، وقلع الميول والاتجاهات المضرة في نفسه وكل الأمور التي تورث هذه الرذائل الأخلاقية

المصادر :

- القرآن الكريم .
- ابن أبي الحديد : عبد الحميد (ت ٦٥٦)
شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم) ، مط الأميرة،
ط الأولى ١٤٢٨هـ .
- ابن الورد : عروة
(ديوان عروة ابن الورد) شرح ابن السكيت) ، (تح : عبد
المعين الملوحي) ، مط : وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- أبو ماضي : إيليا (ت ١٩٥٧م)
الجداول ، مط : الزهراء ، بغداد ، (د.ن).
- الريشهري : محمد .
ميزان الحكمة ، الناشر : دار الحديث - ١٤٢٢هـ ، ط الاولى
١٤٠٤هـ ، مط : اعتماد - قم ،
- شيرازي : ناصر مكارم .
تفسير الأمثل ، الناشر : مدرسة الامام علي (عليه السلام) ، قم -
١٤٢٦هـ ، مط سليمان زادة .
- الطريحي ، (ت ١٠٨٥هـ) .
مجمع البحرين ، (تح: السيد احمد الحسيني) ، مط الحيدري

- عبده : محمد (ت ١٩٠٥م)
شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م ، مط : اسوة ، قم .
- المجلسي محمد باقر (ت ١١١١هـ)
بحار الأنوار ، الناشر : مؤسسة الوفا بيروت ، ١٤٢٧هـ .
- المدرسي : هادي .
أخلاقيات أمير المؤمنين ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ط
الأولى ، ١٤١١هـ .
- الوشنوي : الشيخ محمد قوام .
حياة النبي وسيرته ، مط : أسوة ، ط الثانية ١٤٢٤هـ
- اليزدي : عباس إسماعيل .
ينابيع الحكمة ، باب الفقر ، الناشر : مسجد جمكران - قم ،
ط الثانية ، ١٤٢٤هـ ، مط : السرور .

الفهرست

٥ المقدمة
٧ القرآن بقراءة نهج البلاغة الخطبة ١٩٨ إنموذجاً
٩ المقدمة
١٣ تمهيد
١٧ المحور الأول: القرآن وأدب التحدي
٣٣ المحور الثاني: أسباب العظمة وديمومة الحياة في النص القرآني...
٤٣ المحور الثالث: العوائد والفوائد والموائد في كتاب الله
٦٢ الخاتمة
٦٥ المصادر
٧١	بين الخطابين الديني والتعسفي قراءة في خطبة أمير المؤمنين (القاصعة)
٧٣ المقدمة
٧٧ التمهيد
٨٣ المحور الأول: معالم العظمة والرقي في الشخصية الاجتماعية بين نظريتين
٩٣ المحور الثاني: الدين والاعتقاد قيد الإرادة والاختيار
٩٩ المحور الثالث: العصبية كموروث اجتماعي بين مترفي الأمم وبين أهل المبادئ والقيم
١٠٦ الخاتمة
١٠٧ المصادر

